

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

خمسة مراكب بلا شاطيء

مجموعة قصصية

الدكتور

كرم علام

دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع

خمسة مراكز بلا شاطيء ♦—————♦ مجموعة قصصية

البيانات		
خمسة مراكز بلا شاطيء مجموعة قصصية		Title - عنوان الكتاب
الدكتور / كرم علام		Author - المؤلف
الأولى .		Edition - الطبعة
العلم والإيمان للنشر والتوزيع .		Publisher - الناشر
كفر الشيخ - دسوق - شارع الشركات ميدان المحطة. تليفون : ٠٠٢٠٤٧٢٥٥٠٣٤١ فاكس : ٠٠٢٠٤٧٢٥٦٠٢٨١		Address عنوان الناشر
التجليد	مقياس النسخة Size	عدد الصفحات Pag.
--	٢٤,٥ x ١٧,٥	١٠٨
الجلال .		Printer - المطبعة
العامرية إسكندرية.		-Address عنوان المطبعة
اللغة العربية .		اللغة الأصل
٢٠٠٨ / ٢٠٩٨ م		رقم الإيداع
977- 308 -173 - 7		I.S.B.N. الترقيم الدولي
2008		Date - تاريخ النشر

حقوق الطبع والتوزيع محفوظة

تحذير:

يحذر النشر أو النسخ أو التصوير أو الاقتباس بأى شكل

من الأشكال إلا بإذن وموافقة خطية من الناشر

الفهرس

م	الموضوع	الصفحة
.١	رجل وامرأة.....	٥
.٢	الغريب.....	٧
.٣	السعادة.....	١٣
.٤	الفصل الخامس.....	٢٢
.٥	جنة المقابر.....	٣٤
.٦	خمسة مراكب بلا شاطيء.....	٤٥
.٧	شهرزاد.....	٤٨
.٨	صندوق الذكريات.....	٦٢
.٩	عودة الروح.....	٧٦
.١٠	هبوط خطأ.....	٩٧

خمسة مراكب بلا شاطئ ٤ مجموعة قصصية

obeikandi.com

رجل وامرأة

متوسط الطول أسمر اللون نحيل معروق الجسم واسع العينين يضع على عينيه نظارة طبية سميكة، أما هي فقد كانت مائلة للقصر بيضاء البشرة ذات وجه مكتنز تتخلله بقايا جمال غارب.

جلسا معا على الطبلية وبينهما صغيرهما الذى يبلغ من العمر أربع سنوات، أخذ من أمه كل شىء ولم يأخذ من أبيه سوى بشرته السمراء لم يتبادلا كلمة واحدة منذ جلس ثلاثتهم على الطبلية، أمسك هو بالجريدة اليومية وأخذ يتصفحها على حين مضت هي تكسر الخبز وتضع بعضا منه أمام صغيرها ثم بدأت تأكل.

نظر اليها نظرة قصيرة ثم بدأ يقرأ لها بصوت عال عن التوجهات القومية وأثرها فى مسيرة الرواية العربية، مضى يقرأ المقال ناظرا اليها بين الحين والآخر.

كانت تضع اللقمة فى فمها وتتبعها بقضمة من البصلة الخضراء أو شريحة الخيار المخلل. كان يعلم يقينا أنها لا تسمع شيئا مما يقول وأنها

خمسة مراكب بلا شاطئ ♦ ————— ♦ مجموعة قصصية

لو سمعت فلن تفهم شيئاً لكنه مضى يكمل المقال والصغير ينقل عينيه صامتا بين ذلك الرجل الذى يقرأ وتلك المرأة التى تأكل. كان قد انتهى من المقال عندما كانت هى قد انتهت من الرغيف الأول وارتشفت ريع كوب الشاي.

بدأ يقرأ لها مقالا عن صراع الثقافات ووجه اليها سؤالا " ماذا ترين فى مستقبل العلاقة بين الثقافات الشرقية والغربية هل ستكون علاقة تصادمية أم تكاملية؟"

كانت قد بدأت فى الرغيف الثانى وأوشكت على الانتهاء من حزمة الجرجير، أخذت بعض عيدان الجرجير ووضعتها فى فم صغيرها. بدأ يجيب عن سؤاله بنفسه وعيناه مصوبتان نحو أوداجها المنتفخة كان فمها ممتلئا بالطعام واثار اللون الأخضر للجرجير ملتصقة بأسنانها حين أحست بغصة عند توقف الأكل فى حلقها، فأمسكت بما تبقى من كوب الشاي وفرغته فى جوفها على حين كان هو يقرأ لها مقالا عن العلاقة بين الفن والفلسفة.

مازالت عينا الصغير تنتقلان بين الرجل الذى يقرأ والمرأة التى تأكل

الغريب

كان صاحبي يقول دوماً أن الأفذاذ وأصحاب المواهب الثمينة والعباقرة مشهورين كانوا أو مغمورين يحيون حياة قصيرة - إلا فيما ندر لأن نار الحماسة التي تشتعل داخلهم تأكل شمعة حياتهم من طرفيها فتذوب سريعاً وأن أرواحهم الوثابة التي تبغى الأنتلاق والسمو إلى أعلى لتضيق بالجسد الذي يقيدتها وتحاول دوماً أن تتخطى قيوده فلا تعنى به فتفنى القشرة سريعاً وينطلق القلب إلى رحاب منيرة كان يبغيتها.

هي: ما الذى حدث؟ لماذا هذه الهوة التى بيننا؟!

هو: لست أدرى سرتلك الحواجز الشفافة التى قامت بيننا، لازلت أشعر بأنك أمام عيني لكننى لا أكاد أخطو نحوك خطوات حتى أرتد عنك وقد صدمتني تلك الحواجز الشفافة التى لا تراها العين لكنها تصدم بقوة!

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆————◆ مجموعة قصصية

لابد أن تعى جيدا أنك شخص خيالى أكثر من اللازم، انك ما تكاد ترى انسانا وتحتك به لفترة وجيزة حتى ترسم له فى مخيلتك صورة، وفى معظم الأحيان تكون هذه الصورة أبعد ما تكون عن الواقع، حيث تكون المزايا والمحاسن هى الأكثر وضوحا فتبنى عليها الصورة المتوهمة ويمر الزمان ليثبت لك أن من تخيلته من الملائكة له من المثالب والعيوب مالم يتبدى لعينيك الواهمتين للوهلة الأولى، لكنك تأبى أن تستسلم أو تقتنع بل تحارب من أجل أن تبقى الصورة كما هى فى خيالك، تحارب ضد حقائق الحياة والزمان وكالعادة تنتهى معاركك دوما بالخسران أمام الواقع وحقائقه المريرة، وتمضى الأيام وتعاود أنت الكرّة مرات دون أن تتوب أو تتعلم مما سبق شيئاً.

* * *

هو: لا يمكننى انكار أنها كانت محاولة منى وأنى قد فشلت.
هى: لماذا تقول أن المحاولة قد فشلت؟! لا زال هناك أمل، لماذا تصدمنى بهذه القسوة؟

خمسة مراكب بلا شاطيء ————— مجموعة قصصية

هو: أنا أقول أنى قد فشلت، حاولى انت ان شئت علك تنجحين، أما
أنا فلا استعداد لى لمزيد من الألم، فهذه هى المرة الأولى التى أدق فيها
طعم الفشل وياله من طعم مر.

هى: لازالت هناك امكانية للمحاولة.

هو: للأسف .. فات المعاد.

* * *

لا يسألنى أحد عما كنته فى الماضى فتلك صفحة طويت من حياتى
لا سبيل الى عودتها الا اذا دارت عجلة الزمان الى الوراء وهذا مالا يمكن
أن يحدث، نظرت حولى فاذا لكل انسان وجوه لا حصر لها، وجه ضاحك
وجه باك، وجه مبتهل، وجه متجهم، وفى وسط المتاهة ضاعت منى نفسى
وتخلق داخلى كائن جديد رضع المرارة وتغدى بالألم، أنكرته أول الأمر ثم
تبين لى بعد ذلك أننى هو وأنه حقيقى وموجود بشكل يستحيل انكاره
حاولت البحث عن ذلك المخلوق الذى كنته فى الماضى لكن دون جدوى

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

ضاع وسط الزحام، كلما ترائى لى من بعيد وسعيت نحوه تلاشى فما هو
الا السراب ولا بقاء الا لذلك الغريب الذى أضحى حقيقة لا تمحى.

* * *

ما أجمل الماضى بما فيه من براءة وسذاجة وجهل، نعم انه يرى
الان أن جهله بالحياة كان نعمة كبرى وصدق ناجى حين قال:

كل شىء صار مرا فى فمى عندما أصبحت بالدنيا عليما

أومن يأخذ عمرى كله ويعيد الطفل والجهل القديما

حزين جارف للحظات سعادة فى أرشيف ذكريات الماضى الحنون

حزين كحزين الأم الرؤوم الى وحيدها المسافر الذى نأت به الأرض وليس

فى فؤادها سوى هواه وليس فى عينيها وعقلها سوى صورته وليس فى

أذنيها سوى صوته

بالدهجة القلب حين تطوف به ذكريات الأيام الخوالى وتتنزه عين

القلب فى رياض لم يبق منها الا محض الخيال، الأمكنة هى الأمكنة

والبشرهم البشر ولكن أين الماضى الجميل الذى جمع فى حضنه الدافىء

خمسة مراكب بلا شاطئ ♦ ————— ♦ مجموعة قصصية

ذلك كله؟! صفحة طويت من كتاب الحياة لا سبيل الى عودتها الا اذا
دارت عجلة الزمان الى الخلف وهذا مالا يستقيم مع نواميس الكون
تسرب الى أذنيه صوت أم كلثوم " وعاوزنا نرجع زى زمان ... قول
للزمان ارجع يا زمان"

* * *

لا يدري ماذا يصنع، هل يمقت أصحاب الأفكار المضيئة من الحالين
والفلاسفة والمفكرين ودعاة الاصلاح اللذين عاشوا وماتوا يحلمون بعالم
مثالى ، عالم من الملائكة لا يمكن توهم وجوده الا فى الخيال، هل يمقتهم
لأنهم غدوا خياله بهذه الأفكار الحاملة والتي لولاها ما عانى فى دنيا
الناس، ولولاها لعاش كما يعيشون، لولاها لعاش كالأنعام التى لا تفكر فى
أكثر من المرعى والكلأ تناطح وتقاتل من حولها لتنال النصيب الأوفر
حتى اذا ما انتفخت بطونها قامت الى الشمس- كما روى- فتفرغ ما فى
بطونها لتعود بعد ذلك باحثة عن علفها مرة أخرى.

خمسة مراكب بلا شاطيء ♦—————♦ مجموعة قصصية

لولا هؤلاء اللذين عاشوا ينشدون عالما مثاليا اللذين أحالوا حياته بأفكارهم التى لا يمكن تحقيقها- الى جحيم، لولاهم لعاش مع من حوله فى سعادة، ولكنهم قد غرسوا فيه البذرة الشريرة، بذرة التطلع الى المثالية فهيهات أن ينال ما يريد من راحة حتى لو حاول أن يتناسى ما ربى عليه نفسه من فضائل وقيم وأحلام وردية، فهى السرطان الذى لا سبيل الى استئصاله مع بقاء الجسم سالما.

* * *

غاب القمر واشتدت حلكة الظلام فلملم أوراقه وقام يمشى فى ذلك الطريق الطويل الذى راحت مصابحه تنطفىء الواحد تلو الآخر.

السعادة

بأصابع باردة كالثلج وقبضة صلبة كالفلواز تطبق الحياة على رئتى. متاهات طويلة مشيت فيها بين خلق لا حصر لهم أتصفح الوجوه المعدنية والملاح الباردة وأتساءل وقد اكتشفت الخدعة الكبرى: أما من وجه حقيقي؟ فيجيبني الصدى: وهل لك أنت وجه حقيقي؟ هل حدقت فى المرآة لترى ان كان وجهك حقيقيا ام صورة أخرى من تلك الأفتعة المعدنية الزائفة؟ لماذا لا تحديق؟ ها هي المرآة أمامك.. على التراب كانت تستقر المرآة المقلوبة، أصابعي المرتعشة تمتد نحوها، تلتقطها وتجذبها ببطء وهي مقلوبة. هل أديرها الان لارى هل هو وجه حقيقى أم قناع؟ أقربها اكثر دون أن اديرها وفجأة تسرى فى جسدى رعشة فأقذفها بعيدا دون أن أقوى على النظر فيها.

بعد طواف يطول أقول: " لا مكان لمن ينشد الحقيقة هنا، لا بد من هجرة" أترك الطرقات المزدحمة وتقودنى القدمان الى درب طويل أفقد فيه الاحساس بالزمان والمكان حتى أنتبه فجأة فى قلب صحراء

خمسة مراكب بلا شاطئ ♦ ————— ♦ مجموعة قصصية

مروعة تحترق رمالها تحت سياط النار المنبعثة من تلك الشمس المستقرة
فى كبد السماء، وعلى احدى الصخور الملتهبة أجلس محاولا التأقلم مع
النار التى تلتهم الجسد وأتساءل: - أهنا أجد الحقيقة؟

عن أى حقيقة تبحث؟

عن حقيقة كل شىء

لا تزد الغموض غموضا، اطرح اسئلة واضحة لتحصل على اجابات

واضحة

أين السعادة وطمأنينة النفس؟

سؤال قديم استهلكه الجميع وقالوا فيه القول الكثير.

لكن أحدا منهم لم يجب الجواب الشافى!

لأنه ليس هناك جواب شاف.

نعم، فهى السراب الخادع الذى تتوهمه فى كل خطوة مرتقبة

تخطوها ويجرى السراب بين يدي خطواتك! وانى لأتساءل " هل هناك

خمسة مراكب بلا شاطئ ♦ ————— ♦ مجموعة قصصية

سعادة حقا أم أن هناك فترات يقل فيها الاحساس بالشقاء فينتابنا
احساس كاذب بالراحة؟!

كل ما يمكننى قوله أن من هم على شاكلتك لا يذوقون طعم الراحة
ولا ينعمون بالسعادة لان السعادة معنى شديد الغموض كلما ازددت
تحليله أمعن فى الذوبان فالسعادة اذن ألا تفكر.

وكيف يكون لى عقل ولا أفكر؟

اختر اذن " السعادة أم العقل "

واذا اعطيتنى السعادة وحرمتنى العقل فكيف أقيم ما أنا فيه؟ كيف
أدرك أنى سعيد؟

تلك مشكلتك وعليك حلها، لن يجتمع لك الاثنان الا ريثما يبدد

أحدهما الاخر، هل سمعت بمقولة " الكابة داء المثقفين " فأنا أقول لك "
الكابة داء كل من يفكر".

بل ان التعاسة ميراث البشر أجمعين من يفكر ومن لا يفكر، وان كان

من لا يفكر لا يحس بشقائه لأنه لا يمتلك المقدرة على التقييم، هل تريد

خمسة مراكب بلا شاطيء ♦—————♦ مجموعة قصصية

اقتناعى بأن البهائم سعيدة؟ كلا ، لكنها لا تمتلك الفكر الذى تقيم به
حالتها.. وكيف لا يكون الشقاء قدر الانسان اذا كان الصراخ والبكاء هو
أول ما يلاقى به الدنيا حين يخرج من عالم الظلمات الى عالم النور.

لا تكثر المجادلة واختر: السعادة أم العقل؟

* * *

ذكرنى بمقولة سابقة له حين قال: " لن تحس بالسعادة الا حين

يمتلىء المثلث الأكبر فى دائرة حياتك "

أى مثلث تعنى؟

هل نسيت بتلك السرعة، حين جلسنا سويا نقول أن دائرة الحياة

مثلثات من السعادة والشقاء ينمحي بعضها أحيانا وامتلىء البعض

أحيانا أخرى ثم اتفقنا على أن ذلك كله يجرى فى حيز محدود بعيدا عن

ذلك المثلث الضخم الذى لا يقترب منه مؤثر حتى تأتى الساحرة التى

تملأه فى لحظات، هل نسيت أيها الرجل مثلث الحب؟

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

الحب!! اه... تلك المعضلة الكبرى.. هل هو باب النجاة أم فخ اخر من
فخاخ الحياة؟ هل سيكون مثلت السعادة ام أكبر مثلثات الشقاء حين
يكون له ما بعده من وصل وهجر واقبال وصدود ونشوة وفتور وغيرها مما
يجنيه ذلك المخبأ المتخفى خلف قفاذ من حرير؟!

* * *

كنا نجلس فى قصر الثقافة عندما فاجئنا الكاتب الكبير بأنه
سيحكى لنا بعض الأقاصيص من كتابه صيد اللحظات المراوغة وقال
حاكيا:

" وضعت قلبى فى علبة..

وضعت العلبة فى صندوق..

أغلقت الصندوق..

أغلقت باب الغرفة..أغلقت باب البيت..

وضعت المفاتيح فى جيبى وسافرت

وبعد ثلاثة اشهر أعود..

فتحت باب البيت

فتحت باب الغرفة..

سمعت همهمة،

فتحت الصندوق

رأيت مع قلبي قلبا اخر

(أينما تكونو يدرككم الحب).."

مع كلماته يسحبني بحر الخيال، أطيّر بجناحين رقيقين كجناحي فراشة، يبهرنى ما أرى فى بستان الحب من زهر وعصافير ونسمات تتهادى بين الخمائل أو هذا ما كنت أتخيل .. تسطع على البستان شمس مضيئة تقول أنا شمس الحب، أطيّر نحوها تدفعنى امالى وأحلامى وبعد طيران يطول تتحلل وتذوب أجنحة الخيال كما ذابت الأجنحة الشمعية لايكاروس الذى طار بأجنحته الشمعية نحو الشمس وأسقط على الأرض الصلبة.

خمسة مراكب بلا شاطيء ♦—————♦ مجموعة قصصية

ألم ما يمزق الصدر، أرفع رأسي قليلا وأنظر نحو الصدر، شوكة عظيمة
تنتصب من الأرض الصلبة لتستقر في حنايا القلب.. أين البستان يا عين؟
أفئق من شرودي على صوت أديبنا صائد اللحظات المراوغة:
" هو رجل أعمال ثرى.."

قال لزوجته يوما.. قد ذقت لحوم كل الطيور سوى هذا الطائر
وأشار الى طائر في قفص بالبيت
ذقت المرأة صدرها بقوة وصاحت
انه طائر الحب الجميل
قال: لا مفر من ذلك.. لا بد من أكله.

أخذ الطائر فشواه
وعلى طبق من فضة وبسكين من ذهب بدأ يأكل
ولما فرغ من طعامه مسح شفتيه وهو يقول:
طعمه جميل لكنه لا يسمن ولا يغنى من جوع"

* * *

خمسة مراكب بلا شاطيء ♦—————♦ مجموعة قصصية

ولكن هل لفقدان السعادة سبب يشار اليه بالبنان؟
"الدنيا سجن المؤمن" قالها صوت يأتي من جهة اليمين.

.....

"ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكى" قالها صوت من جهة

اليسار

.....

* * *

هو القدر الذى لا مفر منه أن تحيا مشدودا بين عودين ، مصلوبا بين
عالمين، لن تستطيع أن تجمع بينهما ولن تستطيع أن تهجر أحدهما، دنيا
الحلم الجميل ودنيا الواقع بتبعاتها .. التعاسة لا تنتهى والسعادة لا تدوم
فلترشف كأسك قطرة قطرة حتى تعتاد مرارتها والعادة تقتل كل شىء
جميل كما تقتل كل قبيح.. أنت تسعد بالتابلوه الجميل وتنظر اليه أول
يوم بعد شرائه مائة مرة وبعد أسبوع تنظر اليه مرات لا تتجاوز العشر
بسرور وغبطة وبعد شهر هي مرة أو مرتين وبعد العام تنسى أنك اشتريته

خمسة مراكب بلا شاطيء ♦—————♦ مجموعة قصصية

قطعة أخرى فى أثاث الغرفة لا تذكرها الا اذا أثنى عليها أحد الضيوف فتهز رأسك وقد داخلك بعض السرور لثنائه على ذوقك وليس لذكرى التابلوه.. وهكذا هى العادة القاسية تطحن رهاها كل جميل وقبيح فنعتاد الاثنان فاذا هما سيان.

* * *

توارت الشمس خلف ستارها الغربى، لحن كونى مهيب، غطاء من السكون والطمأنينة يغشى ذلك القطيع من الأغنام التى تمضى الى حظيرتها فى سلام تنقل خطواتها الرتيبة ورأسها تنظر الى التراب مع حركات متناغمة جهة اليمين وجهة اليسار، ارتسمت على شفثيه ابتسامة حائرة وتساءل " هل هى سعيدة؟"

الفصل الخامس

أتدرى يا حبيبى أنك لم تكن ربيع حياتى ولا خريفها ولا صيفها ولا شتاءها .. لقد كنت فصلا خامسا فزت به وحدى .. فصلا أضيف الى عمرى فلونه وأبهجه.

كل امرأة فى الدنيا تترقب فى حياتها فصل الربيع ، فصل الزهور والعطور ، فصل الحياة بعد الموت .. ذلك الفصل الذى يأتى اليها حاملا الدفء بعد ان أجهدتها الصقيع .. يأتى حاملا الحب على نسماته المعطرة.

كثيرات من زعن أن الحب قد أشرق فى حياتهن فبدل جفافها نضارة وأحال ضجيجها الى لحن عذب خالد .. ولكن هل يمكن ان تكون هناك امرأة أحبت كحبنى أو أعطاهما الحب ما أعطانى؟! .. كلا فهذا هو المستحيل بعينه .. لذا يا منية النفس أقول لك أنك لست ربيعى

خمسة مراكب بلا شاطيء ♦—————♦ مجموعة قصصية

الذى كنت أتمناه .. فأنت فوق ما أتمنى وأحلم .. أنت الذى خلقت فى التقويم فصلا جديدا لم تعرفه امرأة قبلى ولن تعرفه امرأة بعدى.

* * *

يوم من أيام فبراير الممتعة ، هنا فى الأسكندرية .. لكم أعشق هذه المدينة صيفا وشتاء لكن عشقى لها يزداد فى الشتاء ، أستمتع بكل ما فيها ، هدوءها اللذيذ واستسلامها الناعس لأحضان البحر ، نزهاتى الصباحية على شاطئها وما يداعبنى به بحرها من رذاذ منعش ونسمات محملة برائحته التى تملأ كيانى ، حتى تلك الأمطار الغزيرة أعشقها حين تتساقط على شعرى تساقط حبات الندى على الزهرة الضمأى .. لكن المدينة الساحرة والعروس الجميلة كانت فى ذلك العام أشد سحرا وأكثر جمالا فى عيني ، ربما لأن سحره هو أبرز لى سحرها وما فيها من مفاتن فسحره لم يطغ يوما على سحر الأشياء الساحرة وان فاقها ، بل كان على الدوام مفتاحا الى الجمال فى كل شىء .. هل هذا لخصيصة فيه هو؟ أم أنه قد نبه فى داخلى حواسا كانت غافية فاتتبهت لتدرك مواطن

خمسة مراكب بلا شاطيء ♦—————♦ مجموعة قصصية

الجمال فى كل شىء حولى ، أم أنه قد خلق تلك الحواس داخلى خلقا
فأنا من أشد المؤمنين بقدرته على الخلق.

كانت ساعة من ساعات الأصيل ، وكنا جالسين فى ذلك النادى
الجميل القائم بين مياه البحر الزرقاء كجزيرة جميلة تتصل باليابسة عن
طريق ممر حجرى أنيق.

كنا جالسين الى مائدة صغيرة مستديرة بجوار السور القصير الذى
يلى البحر.. كنت أرنو الى الأفق متأملة زرقاة الماء تلتقى بزرقاة السماء
وهالنى ذلك الوضوح الناصع لدرجات اللون وتساءلت " منذ متى كان
احساسى بالألوان حادا بهذه الصورة؟! " .. اصطدمت احى الأمواج
بالسور الحجرى المجاور لى وتناثر رذاذها على وجهى وساعدى وتطايرت
خصلة من خصلات شعرى أمام عيني ، عندها أحسست بأنامله تلامس
جبهتى لتسوى تلك الخصلة النافرة .. سرت فى داخلى رعشة لمسرى
أنامله كان لها فى داخلى ديبب كدييب الخدر .. نظرت اليه بعينين
مترعتين بحبه فاحتضن كفى بين كفيه وقال بحنان:

فيم شروذك وصمتك يا حبيبتي؟

"فيك أنت يا حبيبى" أجبته دون تفكير

"فى أنا؟! " تسائل مبتسما

نعم فيك أنت !!

حدثينى اذن كيف تفكرين فى؟

فتنهدت بعمق لأملأ صدري من أنفاس البحر المعطرة بأنفاسه

وقلت:

كنت أفكر فيما أحدثته من حراك فى بحيرة حياتى الراكدة .. لا

أدرى كيف ظهرت فى حياتى على غير انتظار أو ان شئت فقل بعد أن

أعيانى الانتظار ودب فى قلبى اليأس وامنت أن ما أصبوا اليه من حياة

حقيقية تحت جناح الحب لا مجال لوجودها سوى بين دفتى كتاب

يحمل فى طياته أفكارى ومشاعرى وأحلامى وعلى غلافه ترتسم بضع

زهرات جميلات وقلبان ورديان وعنوان يحمل قبسا من تلك الأنفاس

الملتهبة التى تتردد فى صدري الضامىء الى قطرات من ندى الحب .. هذا

خمسة مراكب بلا شاطيء ♦—————♦ مجموعة قصصية

ما تيقنت منه بعد أن طال انتظاري ويأسى .. أما الواقع فقد أدركت أن على أن أحيا حياة سمجة كالتى تحياها الأخريات وأتحول الى الة لا مشاعر لها ولا أحاسيس ، لها فى الحياة وظيفة بيولوجية معروفة هى أن تحمل وتلد وتربى جيلا اخر يعيد تلك الدورة من جديد ، حتى ظهر فى حياتى الزلزال ...

"أى زلزال يا زهرتى الجميلة؟" سألتنى مداعبا فاستطردت مبتسمة انه أنت يا حبيبى .. اشراقك فى حياتى لتبدد ظلمات نفسى وتحملنى على بساطك السحرى الى عالمك الفريد .. حملتنى الى دنيا كالأساطير كل شىء فيها ينبض بألوان قوس قزح الجميلة .. وبعضا الساحر التى كانت فى يمينك صرت تفتح لى كل يوم بابا الى الفردوس أبهى فى كل يوم من سابقه وتساءلت مبهورة " ألا تنتهى مفاجاتك " فأجبتنى .. أتذكر بم أجبتنى؟

وكيف لا أذكر يا حبيبتى وهذا حالى منذ عرفتك .. لقد قلت لك وأقول وسأظل أقول أننى أنا أيضا أعيش فيما تعيشين فيه من مفاجأة وأشعر

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

بما تشعرين به من دهشة ، اننى أفاجأ كل يوم بتلك الأبواب السحرية
التي تحملنا الى ما ورائها من عوالم كرنفالية ملونة لم تخطر لي ببال ولا
دارت لي بخيال .. ان حبك هو الذى خلقها وما كان لي فى ذلك من فضل
سوى أنى ارتدتها معك .. فأنت يا واهبة الحب من وهبتنى تلك الحياة
الجديدة بكل ما تحمل فى طياتها من مفاجات مثيرة.

قال ذلك ثم انحنى يقبل أناملى قبلا رقيقة عذبة كأنها مداعبات
نسيم الصباح لخدود الزهر فلم أستطع أن أتدرك تلك الدمعة التي
انحدرت من عيني وقلت له:

أتدرى يا حبيبي أن حبك يبلغ بى أحيانا حد الألم والاجهاد؟

لا كنت أنا ولا كان حبي اذا مسك ألم أو حتى كدر.

أبغاك الله لى وأبقى لى حبك يا حبيبي .. بل انها عذوبة العذاب أو

عذاب العذوبة ، انه الألم الذى يسقى القلب قمة اللذة فى ذروة الألم .. اننى

ما أكاد أفارقك حتى أتمنى أن أعود اليك ، أن أرتمى على صدرك وأظل

ملاصقة لقلبك أبد الدهر.

انك مقيمة فى ذلك القلب لا تبرحينه يا زهرة قلبى.

واذا حادثتك فى الهاتف حين تكاد أشواقى تدفعنى الى ذرى الجنون
فان صوتك الحبيب يروى ظمأً ويشعل حريقاً .. يروى ظمأً أذن عطشى الى
صوتك الحنون ، ويشعل حريقاً من الأشواق، فالعين تتوق الى رؤياك
والأنف يتوق الى أنفاسك المعطرة والقلب لا يهدأ وتنتظم دقاته الا على
دقات قلبك .. أتدرى يا فؤادى أننى أسمع دقات قلبك وأراه أيضا حين
أكون الى جوارك ، حتى اذا ما غادرتك أحسست فى قلبى ذلك الوجد
الشديد.

لكننى يا حبيبتى لا أكاد أسمع لك حديثاً حين أحادثك فى الهاتف!
ذلك لأننى أحيا مع كلماتك .. تأخذنى من نفسى الى عالم جميل بعيد
فلا أريد أن أبدد لحظة دون الأستماع الى صوتك وحديثك العذب.

لكنك لا تتحدثين حتى عند صمتى!

يكفينى أن أستمع الى تردد أنفاسك .. انها تطربنى وتشعرنى بالأمان .. أحس بأنك الى جوارى .. أحس بأنى فى حضنك .. أحس لأنفاسك بحلاوة يتذوقها قلبى ويتلذذ بها كما يتلذذ اللسان بطعم العسل فى تلك اللحظة انتبهنا لقدوم شخص ما نحونا .. أقبل علينا ذلك الشخص مبتسما فابتسمنا فى ارتباك ، فقال فى لهجة مهذبة اسف لتطفلى ، لكنى كنت أجلس جلستى المعتادة فى الركن المقابل لجلستكم تلك أحتسى قهوتى ، فأثار مراكما فى نفسى مشاعر غريبة أحسست بطاقة تنفتح أمامى الى عالم الابداع ولا أخالكما الا محبين فوجدتنى أمسك بمقصى وورقتى وأصنع لكما صورة "السلويت" تلك ، فهذا هو عملى .. أرجو أن تتقبلاها منى ، وأكرر أسفى لتطفلى.

ناولنا الصورة فشكرناه مبتسمين ودعونا للجلوس مشكرنا بأدب ومضى منصرفا .. كانت صورة "السلويت" التى صنعها لنا شديدة الجمال حيث رسم لى ولحبيبي منظرا جانبيا "بروفيل" كفاى بين كفى حبيبي ووجهانا متقاربان فى حديث هامس ، فقلت أنا فى فرحة طفولية:

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆————◆ مجموعة قصصية

انها جميلة جدا ، أنظر يا حبيبي.

فتناولها حبيبي وابتسم قائلاً:

أرأيتي يا نسمة الجنة كيف أنك ملهمة ليس لى وحدى بل

للدنيا بأسرها.

ابتسمت وقد احمر وجهى خجلاً لرقه ثنائيه .. أحسست بأننى أهواه

بكل ما فى قلبى من نبض وكل ما فى داخلى من طاقة .. انه يمس روحى

مسا خفيفا ناعما له فى نفسى فعل السحر .. انه يسقيني كأس الحب

صافية مقطرة فى ثنايا كلماته ونظراته وابتساماته ، اننى لا أكاد أصدق

أن ما أحيا فيه واقع وليس بحلم .. انه شىء يفوق الخيال فكيف

يكون واقعا.

* * *

والان يا حبيبي وقد تبخرت سحابة الحلم الوردية وهوى بيتنا

الجميل الذى بنيناه فوقها ، ها أنا أتساءل لماذا افترقنا؟! أهى مشيئة

القدر التى فرضها كالسيف المصلت فوق رقابنا رغم أنوفنا ورغم دموعنا

وتوسلاتنا؟ .. ولكن هل يقوى القدر على هزيمة الحب ، اننى لا أكاد أوؤمن بوجود قوة كونية قادرة على هزيمة الحب واى ذلك هو حبك الذى مازال متقدما بين جوانحي كالجمرات التى لم تنطفئ رغم السنوات الطوال ، لم تنطفئ رغم حرمانى من رؤياك وسمع صوتك ، بل انها لتزداد اتقادا متحدية قوانين السلوى والنسيان .. ان حبك يا ثمرة فؤادى تنميه لحظات العذاب كما تنميه لحظات الهناء .. انه يتمدد كمخلوق خرافى ليحتوى كل الأزمنة والأمكنة فلا مفر منه الا اليه .. أم ترى يا حبيبى أن سر تخاذلنا فى الدفاع عن ذلك الحب هو استكثارنا لوجوده فى دنيا كدنيانا .. أهو الاحساس بأن ذلك حدث أعظم من أن يطيقه الواقع فلا حياة له الا فى دنيا الخيال وكتاب الذكريات ؟.. أهو احساسنا كما قيل أنه حلم نجمى أكثر تألقا من أن يدوم؟

الان يا حبيبى وقد انقطعت بيننا السبل لعلك تتسائل عما فعلت بى السنون؟ هل دخل قلبى رجل اخر؟ تلك الأسئلة قد تجول بفكرك كما تجول بفكرى.

خمسة مراكب بلا شاطيء ♦—————♦ مجموعة قصصية

اننى أطرح الان سؤالين قد يحملان الأجابة التى لن تصل اليك لتبقى أسئلتك بلا اجابة كما ستظل أسئلتى بغير جواب ، وأسئلتى يا من وهبتنى نعمة الحب هى : هل يملك الانسان فى تلك الحياة سوى قلب واحد؟ وهل ذلك القلب يا مالك قلبى دارضيافة تودع زائرا لتستقبل اخر؟

اننى لن أقول لك ما قد قيل من أن الحب هو تاريخ المرأة وهو حادث عارض فى حياة الرجل ، لكننى سأقول لك أننى قد ذقت حلاوة الحياة الحقيقية كما لا أظن أن امرأة قد ذاققتها قبلى أو أن امرأة قد تذوقها بعدى وأن ما وهبتنى أنت من حب يكفينى زادا الى اخررمق لى فى تلك الحياة ، أما فيما وراء تلك الحياة فان روى تبصرا اجتماع شملنا روى التى لم تفارقها روى لحظة رغم افتراق الأجساد.

اننى تسألت مرة ماذا لو أوتيت القدرة لأنفك عن حبك فعلمت أن ذلك سيتبعه أشياء كثيرة ، فعلى حينئذ أن أحذف من قاموس حياتى كلمات كالاخلاص والوفاء .. وأن كلمات أخرى ارتبطت حياتها داخلى

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

بحياة الحب كالخلود والالهام ستبهت فى وعى وتتلاشى وأن ذلك سيقود
بلا ادراك الى فقدان كلمة الحب كل مذاق لها أو بريق لتغدو خرقة بالية
لا تحمل فى طياتها معنى نبيل ومع ذوبان الحب واهب القيم الدائم
تذوب من حياتى كل القيم الأخرى كالخير والجمال والفضيلة ، وهذا كله
لا يعنى سوى اننى أفقد ذاتى وأتلاشى .. فلا وجود لى الا بوجود حبك فى
قلبي حارسا لبقائى وكينونتى وراعيا لكل معنى جميل يسكن صدرى

جنة المقاب

" الريف جنة الشعراء والأدباء وأصحاب الخيالات المرهفة، هل هو

جنة حقا؟ وهو من يحيون فيه يشعرون بأنهم أهل الجنة؟"

تبادر الى ذهني هذا السؤال وأنا أقطع الطريق من موقف السيارات

الى البيت ماشيا فى عودتى من المدينة حيث أعمل الى القرية حيث

مجتمع الأهل ومنبع الذكريات الأولى.. سرت على الطريق الترابى الموازى

للترعة ثم على ضفة المجرى المائى الصغير المتفرع منها تحيط بى الحشائش

ونباتات الحلفاء وذيل الفأر وقد اكتست الأرض امام عينى وعلى مرمى

البصر بنسيج أخضر من حقول البرسيم تخترقه مساحات ذهبية من

حقول القمح وقد تناثرت وسط ذلك النسيج أشجار النخيل والصفصاف

والنبق فى مشهد جمالى بديع.

جلست دقائق لالتقاط الأنفاس والاستراحة مستظلا باحدى أشجار

النبق العملاقة وأمسكت بعود من الحطب الجاف أداعب به النباتات

المائية الطافية على سطح ذلك المجرى المائى، وجعلت أمد البصر فى

الافاق أرقب الفلاحين وأتساءل " بماذا يشعرون؟ هل هم سعداء أم تعساء؟ هل يرون فى حياتهم وما حولهم ما يراه الشعراء وفرسان الرومانسية الحالمين؟ أم أن الاحساس بذلك الجمال رفاهية لا يمتلكها سوى الزائر العابر؟"

ثم نهضت وحملتني قدماى الى البيت وأنا أتساءل عن وطن السعادة أين يكون؟

وفى البيت تلقتنى الأحضان والابتسامات المشرقة، نزعنت عنى ثياب المدينة وارتديت الجلباب المريح، غمرنى طوفان من الأسئلة الحنون عن حالى وعملى وصحتى وطعامى ونومى وغيرها من أسئلة القلوب المشفقة على الابن المغترب، فأنا سأظل هكذا معتربا فى نظرهم رغم استقرارى وحياتى الدائمة فى المدينة، ثم جلسنا الى الطبلية كبارا وصغارا فتناولنا الطعام المحشو بالابتسامات والدعابات اللطيفة، وبعد الطعام مضيت لأستريح من عناء السفر. أسلمت جسدى للفرش وأنا أتساءل عن سر تلك السعادة التى أحس بها هنا فى قريتى! ترى أهى

سعادة الزائر الموقن بأنه لن يمكث هاهنا طويلا ولن يرى فى زيارته القصيرة سوى الجانب الحنون من حياة القرية، أم هو حب القرية والأرض مهما قست أحوالها؟" ثم غزا النوم أجفانى.

فى المساء تذكرت صاحبى الذى عاهدت نفسى على زيارته حين قررت زيارة القرية.. سنوات طويلة انقضت لم أره خلالها حتى غامت فى ذاكرتى ملامحه، لكن ميراثه لازال يشكل جزءا لا يتجزأ من وجدانى فهو اليد الأولى التى شكّلت خيالى وهو رافد من أعظم الروافد التى غدّت ثقافتى ودنيا أفكارى، انه بسيونى السقا. ارتديت الجلباب وخرجت ميمما شطره.

خلفت ورائى العمران ومضيت أضرب بين المقابر قاصداً ذلك الكوخ الذى وصفوه لى حتى رأيته من بعيد، كان كوخا من البوص المطفى بالطين، اقتربت منه فرأيت بابه الصفيحى شبه مفتوح فوقفت الى جواره أرهف السمع فتناهى الى سمعى صوت ليلى مراد المنبعث من الراديو يشدو " ماليش أمل فى الدنيا دى غيرانى اشوفك متهنى " تبسمت

وقد انبعثت فى أوصالى ارتياح عجيب لم أشعر بمثله منذ سنوات ثم طرقت الباب طرقات متقطعة فجائنى الصوت من الداخل يدعونى للدخول فدخلت.

تلاقت الأعين فى صمت فأفتر ثغرى عن ابتسامه، وبعد لحظة من الصمت والتذكر ارتسم فى عينيه خلالها سؤال يتأرجح بين التصديق والشك "أهو أنت؟! فأمأت برأسى أنه أنا فأقبل هو فاحتضننى وهو يقول "يااااه .. يا مرحب يا مرحب .. عاش من شافك يا سيدى "

متوسط الطول، أشيب الرأس والشارب واللحية، أسمر غامق السمرة كسا الزمان وجهه بتجاعيد كالأخايد ونال من جسده دون أن ينال من روحه كما بدا لى.. أمسك بيدي ومضى الى حصيرة فى جانب العشة فأجلسنى وهو يقول "دانا من زمان قلت انك نسيت بسيونى وأيامه!!" فابتسمت وقلت "فيه حد ينسى عمره وروحه يا عم بسيونى؟!"

خمسة مراكب بلا شاطئ ٬ مجموعة قصصية

كانت عشته نظيفة رغم ضيقها، متاعها حصير من الحلفاء وزير للماء
وجوزة وقفة بها طعامه وجرابا من القماش معلق بأحد الأركان ومذراع
ومجمرة بها بقايا حطب مشتعل

- عاش من شافك يا سيدى

- عشت وعاشت أيامك الحلوة يا عم بسيونى، ايه أخبارك وأخبار

دنيك؟" فقال وهو يضع كنكة الشاى فى المجرمة ويأخذ بعضا من الفحم
المشتعل للجوزة:

زى مانت شايف وربك بيعديها.

وايه اللى جابك الجبانة، ما ارتحتش مع الأحياء جاى تعيش مع

الأموات!؟

هى دى دنيتى يا ابنى.

فنظرت اليه فى دهشة فسحب نفسا من الجوزة وقال:

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

بسيونى يابنى ما عايش بسيونى بتاع زمان، لا الصحة عادت
تستحمل شيل القربة ولا الناس عادت محتاجاها.. المية دخلت كل بيت
فقلت ارتاح شوية"

ربنا يدك الصحة. لكن الراحة ماتكونش الا بين الأموات؟!
دى يابنى دنيتى ودول أصحابى. قالها ثم أرسل الدخان من فمه
وتنهد قائلاً:

أحبابى كانوا معالى تجمعهم الأشواق
صار الزمان بعدهم علقم ماعاد ينطاق
ثم ارتعشت يده قليلا وبدا كمن يغالب البكاء ثم ترك الجوزة ومضى
الى باب العشة فنظر الى شواهد القبور وقال:

أصحابى يابنى هنا فى القبور دى، هنا وسطهم أنا حاسس بالراحة
والأمان، كل ليلة نسهر سوا نعيش فى أيام زمان وذكريات زمان، أيام
زمان الحلوة يابنى جات هنا مع أهل زمان ودى الدنيا اللى أنا عاوز
أعيش فيها لحد ما أموت"

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

فقمتم اليه ووقفتم الى جواره ونظرت الى الأفق حيث ينظر وتحرك

داخلي سؤال طالما تفت أن أسأله له فقررت أن أسأله اليوم فسألته

نفسى أسألك سؤال يا عم بسيونى.

اسأل يابنى وانا اجابوك.

تجاوبنى بصراحة؟

ولا حاجة تستحق انى أخببها.

حببت قبل كدا يا عم بسيونى؟

تنهد بسيونى وقد بصوت شديد التأثر:

ياللى سألت السؤال حببت يا بسيونى؟

عاشق رمانى الهوا باين على عيونى

لا طيب ليه ولا دوا ياللى تلومونى

لكن انت عمرك ما جبتملى سيرة الحب ده!!

كان حب ماله أمل عايش فى قلب كسير

لما القمر يعيشه انسان بسيط وفقير

خمسة مراكز بلا شاطيء ————— مجموعة قصصية

طيب أقعد واحكىلى الحكاية.

ومضينا معا فجلسنا على الحصيرة وأسند هو ظهره الى جدار العشة

وشرد قليلا ثم قال:

كنت بافضى القرية	فى بيت شيخ الغفر
لمحت وجه صبية	يخجل معاه القمر
لمأرأيتها سرحت	والمى راح مدلوق
ضحكت جميلة وقالت	اصحى يا سقا وفوق

كان اسمها جميلة؟

كان اسمها جميلة وكانت جميلة الجميلات.

وبعدين حصل ايه؟

ولا حاجة.

يعنى ايه ولا حاجة؟

يعنى ولا حاجة

سقا وهام قلبه	ببنت شيخ الغفر
---------------	----------------

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆ ————— ◆ مجموعة قصصية

هيبعته وه لجهنم لوحتى ربك غفر

يعنى ما كلمتهاش عن حبك؟

ده حب يابنى اتولد يعيش فى أضلاعى

أنا صح مغرم صبابة لكن أنا واعى

بس كان المفروض حتى تقولها هى؟

الموت كان عليا أهون.

وطبعا فضلت عايش حياتك متعذب؟

لا عذاب ولا حاجة يابنى، دى كانت حاجة حلوة عايشة جوايا

تسعد أيامى ولياليا زى ما تحب القمر ولا عمركش فكرت تلمسه بايدك

دانا كنت أكثر واحد رقص فى فرحها

والسعد مالى قلبى فرحان لفرحها

معقول الكلام ده؟!

لما حبيبي يفرح لازم أكون فرحان

القلب رايد ولكن كل شىء بميزان

خمسة مراكب بلا شاطئ ♦ ————— ♦ مجموعة قصصية

انت فعلا غريب يا عم بسيونى!!

فلم يجب ولكنه شرد ببصره الى قبر بين القبور وسالت من عينه

دمعة وقال:

لكن بكتها العين لما ضاياها انطفا

الحزن عتش ف قلبى ما بين غصون الوفا

ماتت؟!

ماتت جميلة يا ولدى وسابيت لى أحزانى

ومن يوميهها وصار القبر عنوانى

عشان كدا جيت الجبانة وسبت أهل الدنيا؟

مانا قتلتك يا بنى ان دنية زمان الحلوة جات هنا خلاص، أقعد هناك

لمين وأحبابى هنا ساكنين؟!

يا اه يا عم بسيونى، دا قلبك دا ياما استحمل وشاف!

اللى يعيش يا بنى ياما بيتشوف.

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

بس أجمل شىء فى حكايتك الجميلة يا عم بسيونى انك لقيت
جنتك حتى لو كانت فى نظر الناس مقبرة، تعرف يا عم بسيونى انى انا
كمان نفسى أهرب، نفسى أدور على جنتى بعيد عن الناس.
روحك يابنى صورة من روح عمك بسيونى بس ظروفك أصعب من
ظروفه، أنا لما قلت أسيب الدنيا قدرت أسيبها، لكن انت مش هتقدر، ولو
سبتها هى مش هتسيبك، قدرك ولازم تدوقه وتشوف مكتوبك.
صافحته بعد أن شربنا الشاي ووليت ظهرى لتلك الدنيا الهادئة
متجها صوب الدنيا الصاخبة القاسية وكلماته لازالت تتردد فى أذنى "
قدرك ولازم تدوقه وتشوف مكتوبك"

خمسة مراكب بلا شاطيء

" هل نصل يا حبيبى الى شاطيء الأمان؟" قالتها وقد ارتسمت فى عينيها نظرة حاملة على حين كانت يداها تضعان اللمسات الأخيرة للمركب الورقى الصغير.

خمسة مراكب صغيرة صنعتها له من الورق الملون حين كانت تحتفل معه تلك الليلة بعيد ميلاده الخامس والعشرين.

- " أتدرى يا حبيبى؟" قالتها مبتسمة ابتسامتها المشرقة الجذابة فنظر إليها وقد بعثت ابتسامتها الحنان من قلبه الى قسماط وجهه فاستطردت وهى ترنو اليه:

- " لقد بدأت تقويما جديدا لحياتى "ق.ح" و "ب.ح"، قبل الحب

وبعد الحب، لقد غدا حبك تقويما جديدا لحياتى به أُوْرخ لها ولأحداثها"

نظر فى عينيها الصافيتين لبعض الوقت ثم قال:

- " أما أنا فليس لى تاريخ قبل حبك، لقد كان ميلادى الحقيقى مع

ميلاد حبك فى قلبى "

رنت اليه قليلا ثم بدأت الأبتسامة تذوب فوق شفتيها وتلاشى

من قسّمات وجهها

- " ماذا بك يا حبيبتي؟" قالها فى أشفاق

- " أشعر بالخوف" قالتها بأسى رقيق

- " مم؟! "

- " لا أدرى .. لكنى أتساءل: هل يمكن لانسان أن يحيا فى كل ما

أحيا أنا فيه من سعادة؟ انها سعادة أكبر من أن تدوم"

- " لماذا كل هذا التشاؤم يا حبيبتي؟"

- " لا أدرى يا حبيبى .. لكنى لم أعتد من الحياة كل هذا الكرم

والسخاء .. لقد اعتدت أن اتلقى هداياها بالخوف فهى لا تبسط بساط

السعادة هكذا الا اذا كانت تحمل فى طياتها ألما لا حد له"

- " محبوبتى الرقيقة ، ما عهدتك أبدا فى مثل هذا التشاؤم .. فلنسعد

بساعات حينا ونسأل الله أن يحصنها ضد الزمن وغدره"

قالت وهى تحرك أحد المراكب الورقية باصبعها:

خمسة مراكب بلا شاطئء ♦—————♦ مجموعة قصصية

- " أخشى على زورقنا الرقيق ألا يبلغ الشاطئء .. أخشى عليه من أمواج الحياة العاتية .. أخشى أن تبتلعه الدوامة"

* * *

خمسة وعشرون عاما مضت على صنع مراكبه الملونة، ظهرت فى حياته أحداث وفنيت أحداث وبقيت المراكب الورقية الملونة رمزا للحب الخالد، تميمة ضد الفناء.

عامه الخمسون منذ جاء الى هذه الحياة وعامه الخامس والعشرون منذ أن ذاق للحياة طعما.

وحيدا يجلس فى شرفة مكتبته يحتفل بعيد ميلاده الخامس والعشرين بتقويم الحب .. تورتة صغيرة الى جوارها خمسة من المراكب الورقية الملونة، وقصائد شعره التى كتبها لطيفها على مدى خمسة وعشرين عاما.

- " أخشى على زورقنا الرقيق ألا يبلغ الشاطئء " تذكر كلمتها التى كانت تستشف الغيب من خلف أستاره وسالت من عينيه دمة ساخنة

شهرزاد

كان الجوفى ذلك اليوم صحوا بديعا والسما مشرقة والشمس تعلق من الأفق الشرقى باعثة أشعتها الدافئة لتمتج بتلك النسفات الربيعية اللطيفة المتهادية فى جو البستان ، حين كانت شهرزاد تخطو من داخل القصر الى ذلك البستان المترامى الأطراف متطلعة بعينيها ذات اليمين وذات الشمال تبحث عن شىء ما حتى استقر بصرها على ذلك الشبح الجالس بعيدا على صخرة تتوسط مجموعات من الحصى الصغير الملون بجوار جدول ماء صغير ، فحثت خطواتها نحوه.

كان شهریار يجلس على ذلك الحجر الأملس محدقا فى جدول الماء السارى متسليا كل حين بالقاء احدى الحصوات الصغيرة ومتابعة ما تحدثه من دوائر صغيرة تتسع فوق سطح الماء متوحدة المركز حتى تتلاشى وتذوب فيما حولها.

انه مطلع الربيع حيث بدأ البستان يزدهى ببراعم الورود الصغيرة والأوراق الخضر الزاهية ورائحة العطر تتسوع فى كل مكان.

خطت شهرزاد فى هدوء حتى وصلت الى جوار مليكها الشارد فى أفكاره ونظرت بحنان الى وجهه المفكر وعينييه الحائرتين ثم ارسلت اناملها تداعب شعره وهى تقول:

ما الذى أيقظ مولاي مبكرا هكذا؟!!

فاستفاق شهريار ببطء كمن ينادى نفسه من بعد سحيق، ولما تكامل له حضور نفسه نظر الى وجهها الجميل وارتسمت على شفثيه ابتسامة ضعيفة، وقال بصوت متهدج:

شهرزاد؟!!

خادمك يا مولاي.

" أقبلى يا حبيبتى واجلسى الى جوارى "

قالها وقد أخذ كفها الرقيقة فى كفه وساعدها على الجلوس الى جواره، فنظرت الى وجهه نظرة ملؤها الاشفاق والحنان وتساءلت:

سلمك الله يا مولاي وقره عيني ، أبك أرق ام تشكو من علة؟؟

لم يجبهها وانما أرسل ناظريه الى أركان البستان المترامية لا يرى

لها اخرا

سيدى وحبيبى ان قلبى يتاكل قلقا عليك فطمئن خواطرى.

خمسة مراكب بلا شاطئ ♦ ————— ♦ مجموعة قصصية

فنظر اليها نظرة تراءت لها فى أغوارها بحار من الحنان والأسى ثم انفرجت قسماته عن ابتسامة هزيلة ، وأطال يحدق فى وجهها وقد كسته اى الاشفاق، ولما رأى كل قسماتها تنطق بحبه سحب يدها وطبع عليها قبلة طويلة دافئة فى حين كانت هى تتخلل شعره بكفها الأخرى وقد تحدرت على وجنتيها دمعتان كبيرتان.

رفع رأسه ومسح دمعتها بأنامله واحتوى رأسها فى صدره وهو يقول:

لا أدرى يا حبيبتي ماذا كان مصيرى سيكون لو لم تشرقى فى حياتى بروحك النقية وقلبك الكبير ودنيا أحلامك الواسعة، لقد وهبتنى السعادة والحياة والخلود.

فلم تزد شهرزاد على أن قالت فى حنان:
مولاي.. والله مالى فى الحياة من أمنية سوى أن أكون تلك الخاطرة السعيدة التى تدخل السرور الى قلبك ولوللحظة، وحسبى هذا نعيما أتمتع به.

ثم رفعت رأسها ببطء ونظرت اليه نظرة كستها الدموع بسحر لا يقاوم وهي تقول:

والله يا سيدى وحبيبى ما كنت أطيل عليك حكاياتى رغبة فى الحياة ولا رهبة من سيف مسرور.. فذلك أهون عندى من أن أفكر فيه أتذكريا مولاي ذلك الحديث الذى دار بيننا فى ليلة زفافنا؟

فنظر اليها شهريار متسائلا حين استطردت هى:

لقد قلت لى يا مولاي " أتعلمين يا فتاة أنك ميتة بعد ساعات قليلة" فأجبتك يا حبيبى بقولى " وما الناس الا هالك وابن هالك وذو نسب فى الهالكين عريق .. وان ساعة لنا فى قرب من نحب هى خير من حياة طويلة لا حياة فيها" فوالله يا مولاي وحبيبى ما قلتها عن رغبة أو رهبة ، لكنى قلتها عن حب وقناعة... أنا يا مولاي من جاءت اليك بقدميها... أنا التى سعت اليك غير مكرهة، بل محبة... أنا التى أشارت على أبيها أن يزوجها اليك رغم علمها بسيف مسرور الذى ينتظرها بين يديك... لقد حاول أبى الوزير أن يثنيني عن ذلك العزم ، لكنى كنت مدفوعة اليك بقوة أكبر من أن يثنئها شئ ، تلك هى قوة حبي لك يا مولاي ومليك فؤادى، وكان لابد لذلك الحب الكبير من امتحان عسير قد تكون الحياة ذاتها ثمنه له...

أحبتك رغم كل ما رأيت فيك من قسوة ظاهرة حيث كنت أرى من وراء القناع المظلم جوهرة جميلة طمرتها الأتربة فعولت على أن أنفض عنها الغبار... أحسست أن وراء ذلك الانسان المخيف يكمن شطر روحى الذى عشت حياتى أبحث عنه حتى أضناني البحث، وكان لابد من مغامرة وليكن النجاح حليفى والا فليفتح لى الموت أذرعه فما الحياة اذا لم نهبها لمن نحب؟!... وما تطاول الليالى والأيام والساعات اذا خلت من قلب ينبض وروح تتوق الى الفها؟!... وجئت الى بابك يا سيدى ومهجة قلبى أحمل روحى على كفى راضية مغتبطة وحبى فى قلبى، وفى رأسى وخيالى دنيا كاملة تتوق اليك وتبغى أن تحتويك، تحس أنك جزء منها بل قلبها النابض وشريان حياتها... هل تدرى يا مولاي الحبيب؟.. لقد قرأت من الحكايات وسمعت من الأساطير مالا أظن أن بشرا أحاط بمثله، وكنت كلما قرأت احدى تلك الحكايات تمثلتنى بطلة الحكاية أو أميرتها ونظرت حولى أبحث عن البطل الفارس الذى سيهوى قلبى بين يديه، فيرتد بصرى حسيرا كسيرا.. حتى زهدت فى الناس والحياة فيما سوى كتبى وخلوتى.. حتى رأيتك مرة جالسا متأملا فى بستان قصرك جلسة كجلستك هذه، رأيت رجلا غير ما يراه الناس، رأيت داخلك ان جاز

لى التعبير، كانت نظرتك وشروك وقسماتك تهتف مخاطبة أعماقى سمعت طرقات قوية على جدار صدرى من الداخل فالتفت نحوه واذنا بقلبى يشير نحوك قائلاً " انه هوى شهرزاد" فتساءلت مستنكرة " هو ماذا؟! فأجابنى قائلاً " هو أمير أحلامك، هو شطرك الاخر، هو كنزك الدفين الذى تبحثين عنه عبر الأزمنة والأمكنة" فصحت مندهشة ومستنكرة " هذا السفاح؟! .. ولا تؤاخذنى فى ذلك يا مولاي فأنا أحكى لك ما جرى (فابتسم شهريار فأكملت حديثها) .. تساءلت يا مولاي فى دهشة، دهشة من وجد كنزه بين أطلال خربة " هذا السفاح هو بطلى وفارسى؟! فأومأ القلب أن نعم، فقلت " ان يديه مخضبتان بدماء وذنوب لا تغسلها أنهار الأرض" فأجابنى قلبى " أجل.. ان ذنوبه لا تغسلها أنهار الأرض ولكن سيغسلها ينبوع صغير يخرج من قلبك أنت" فقلت " وأى أمل يرتجى من سافك للدماء مثله؟!.. وكيف يكون دخوله الى عالمى الرقيق الجميل؟! " فأجابنى قلبى " انه قضاءك وقدرك، انت مبعوثة السماء برسالة الحب الى ذلك القلب.. لا يغرنك منه ما ترين.. ان وراء الأسارير الجامدة والوجه المتجهم والصيحات العالية خيرا دفيناً وروحاً

كسيرة وقلبا غافيا ينتظر كف الساحرة التى ستوقظه فأقبلى ولا تتردى
فهذا هو من تنتظره دنياك الجميلة"

وبالفعل يا مولاي.. من يومها صرت لا أحلم حلما ولا أحيا حكاية الا
رأيتك فيها الى جوارى، لكنك كنت شخصا غير الذى يعرفه الجميع
وعولت على نفسى أن أحول ذلك الخيال الى واقع وأن استنقذ الانسان
العظيم فى داخلك من برائن الوحش المخيف. وفى اولى ليالينا معا قلت
لنفسى انها ليلة الأختبار، تلك التى سأغامر فيها بحياتى من أجل حبي
لو كنت قدرى كما حدثتنى خواطرى ولو كنت أمير دنياى الجميلة
فسوف تناديك دنياى كما نادتنى من قبل، وستشغل قلبك كما شغلت
قلبى، ويوما ما ستحتويك كما احتوتنى.. لم أكن أطمع فى أن تنقلب
الدنيا فى ليلة واحدة، لكنى قررت أن افتح لك بابا الى دنيا أحلامى
وجنتى فى تلك الليلة وأدعها تناديك مستجديا اياك أن تبقينى الى الليلة
التالية حتى تعلم المزيد عن تلك الدنيا، وفى كل ليلة تعلم عنها أكثر
فأكثر.. وكان أن صدقنى قلبى وصدقتنى خواطرى وسحبتك دنياى فاذا
هى دنياك أيضا، وصار يقينى يزداد كل يوم بأنك فارسى وحبيبى وأننى
ما جئت الى هذه الدنيا الا من أجلك أنت ، كى أسعد بك وتسعد بى

خمسة مراكب بلا شاطئ ♦ ————— ♦ مجموعة قصصية

فوهبتك حياتى ووقفتها على سعادتك، واليت على نفسى أن أظهر للندنيا
معدنك الطيب وألا الوجهدا فى أن أنشد لك الخلود"

"مولاتى الحبيبة!!"

قالها شهريار وهو يضمها الى قلبه ويمسح وجهه فى شعرها وقد
سالت دموعه فبللت جدائلها الحريرية، ثم رفع رأسه ومسح دموعه وقال
باسما:

أتدرين يا شهزاد؟!.. انك أغرب وأجمل وأعظم حدث مربى فى
حياتى!!.. أنا الملك العظيم قاهر الملوك كلها وصاحب السلطان المترامى
الأركان.. خضت الحروب الرهيبة وكان النصر حليفى فى كل حرب
خرجت للصيد والسياحة فى كل انحاء الأرض.. بنيت القصور على الجبال
وفى السهول، على الأنهار والبحيرات والبحار.. حملت الى الكنوز التى
تخلب الألباب .. حمل الى من الحسان ما لا يحصيه عد.. لم أرغب فى شىء
الا وكان أضعافه طوع يمينى ، حتى أثار ذلك فى نفسى الأشمئزاز
والضجر.. مع كل ما أوتيت لم أشعر يوما- قبل رؤياك- بالسعادة.. ولطالما
تساءلت كثيرا " ما الذى ينقصنى كى أكون سعيدا؟؟ لماذا أنا محروم من

الراحة والهناء؟! حطمت الجيوش ووطئت الرقاب وتهافت عند قدمي التيجان وصفق لى الناس وهللاوا فرحين وأنا أنظر اليهم مستشعرا الغربة والقرف " لماذا أنا غير سعيد؟! " .. أمضى كل يوم الى قصر.. أضم الى نسائى كل ليلة فاتنة.. أتنزّه فى مروج وبساتين تحكى جمالها الأشعار والحكايات.. أمضى وأعود بنفس الغصة والتساؤل " لماذا أنا غير سعيد؟! " تزوجت وخانتى الزوجة فنالت ما تستحق، قطعت رأسها وأنا الى القرف أقرب منى الى الحنق، ثم صار الزواج وقطع الرقاب عادة مبعثها الملل والملل حصاها أيضا.. كل ليلة أبحث عن الجديد فى كل امرأة، أبحث عما يكسر مللى فلا أجد، كلهن متشابهات فى بعث الملل، كنت ضحية احساسى بالضجر وكذلك كن هن ضحايا مللى.. كلما شعرت بالقرف أقيت بهن الى سيف مسرور وازداد صدرى ضيقا.. أبغضت الدنيا وأبغضت نفسى، كنت استشعر كثرة ضحاياى فى الحياة ولكنى أنا أيضا ضحية لهذه الحياة .. حتى أشرقت انت فى سمائى كوكبا دريا.. هالنى منك ما رأيت منذ اولى ليالينا.. لم أقرأ فى عينيك ما قرأت فى أعين من سبقك من خوف، ولكنى قرأت شيئا اخر لم استطع ساعتها أن أفهمه أو مات لى بأناملك الرقيقة الى مملكة غريبة تنتصب وسط الضباب

وابتسم طيفك فى خيالى قائلاً " هلا شرفتنى بدخول مملكتى؟ " فأجبتّه فى ملل " لقد زرت كل الممالك حتى عافتها نفسى " فقال طيفك " لكنك لم تزر مملكتى فجرب ذلك وستحس بالفارق! " فقلت " لقد ملكت الدنيا بأسرها فأين مملكتك؟ " فأدهشنى أن قال طيفك " مملكتى خارج نطاق سلطانك.. مملكتى خارج نطاق الدنيا .. هى أكبر من الدنيا بل هى الدنيا الحقيقية.. مملكتى لا حاكم لها حتى الان سوى، منيعة على كل الغزاة وحصينة ضد كل الجيوش لا تفتح أبوابها الصلبة وتسلم عرشها الا طواعية ولن أحببت ملكتها.. فلن تجلس على عرشها يا سيدى مالم أجلسك أنا " لقد اثار حديث طيفك فى نفسى من الفضول بقدر ما اثار من الغيظ.. لم أكن لاتصور وجود مملكة لا تخضع لسلطانى، لكنى تمنيت ذلك فى قرارة نفسى، عسى أن أجد فيها ما افتقده وأبحث عنه دون أن أدري كنهه.. ربما كسرت مملكتك رتابة حياتى، ربما.. أما اذا لم يحدث ذلك فسيكون انتقامى منك مضاعفا..

شهرزادى الحبيبة، لا أخفيك سرا بما حدث فى تلك الليلة.. لقد رأيتك تخطين نحوى فأحسست بشيء داخلى يخطو نحوك فأنكرت ذلك من نفسى ونهرتها حتى لاح لى وجهك فى أضواء الحجر الخافتة فأعمى

ضوء كل الأضواء فكأنى ما رأيت جمالا قبل جمالك، جمالا ينضح بالجمال من وراء القسمات الجميلة .. فأنكرت على نفسى ذلك أيضا وسلطت عليها قبضة حديدية.. وتحدثتى أنت بصوت كأنه الحلم اذا كان للحلم صوت أو كأنه السحران جاز للسحر أن يتكلم فازدادت عوامل الثورة على قبضتى فى داخل نفسى وأنا احاول كبجها ببطشى المعهود وخاطبتك ساعتها بما ينتظرك من مصير وكان رذك الساحر يقطر من دنيا مسحورة لا أراها، ورقص فى داخلى شىء لم أكن أعلمه من نفسى قبل ذلك أو أدرك له كنها.. ثم رأيتك تبسطين لى بساطا من حرير الى مملكة من البللور النقى وتشيرين الى بيدك حتى أزورها .. أفزعنى أن تكون هناك مملكة فى الواقع أو الخيال لا تخضع لسلطانى وأنفت لذلك أشد الأنفة وفكرت فى تدمير مملكتك لكن قصرت يدى عن ذلك، فدفعتى الغيظ الى التفكير فى قتل ملكتها، فجاءنى من داخلى ألف شفيع يتشفع لك.. أشياء لم أكن أعلمها فى نفسى من قبل خاطبتنى بصوت العقل " ما عليك أن تمضى لزيارتها؟!.. ألا ترى بشائر سعادة تطل براءوسها من فوق أسوار مملكتها.. الا تتوق الى حياة تكسرتعاستك ووحدتك وشقائك؟!.. انها التجربة الفريدة التى لم ترها من قبل ولن تراها مرة

أخرى اذا ضاعت من يدك الان" وهددتنى هذه الأشياء الوليدة بالعصيان والتمرد اذا لم أصغ اليها.. هددت بأن تخرج عن قبضتى وتمضى اليك رغما عنى.. فاستجبت لندائها ومضيت الى دنيك وكل جزء فى داخلى يبشرنى بسعادة مقبلة كسيل الأحلام.. تفائلت ولم أتعجل فى ابداء مشاعرى .. وعند الباب السحرى الكبير تحركت أناملك النورانية فانفتح الباب ثم حملتنا نسمة معطرة الى داخل جنتك وهناك تيقنت أننى لم أحيا يوما قبل رؤياك .. أدركت أن الدنيا بين يديك وأنه لا دنيا ولا حياة لى بعيدا عنك.. وانى لأعجب لى نفسى كثيرا .. أنا الذى ضاقت على الأرض بممالكها وقصورها وبساتينها وجناتها حتى لكأنى أتنفس من سم الخياط.. أنا الذى ضاق بى ذلك كله ها قد وسعنى مجلس بين يديك وتساءلت " أى ساحرة أنت وأى سلطان لك على الزمان والمكان" .. أكثر من ألف ليلة وليلة يا شهرزاد يا حلم العمر.. أكثر من ألف ليلة لم يتطرق الى قلبى فيها الملل بل ولم أعائش فيها ما يعائشه الناس من حياة لا ملل فيها ولا متعة.. بل هى متعة دائمة يا زهرة العمر.. دائما فى شوق اليك والى دنيك، شوق لم يفتر منذ أكثر من ألف ليلة ولا أظنه قد يفتر.. أنا يا شهرزاد شهريارك أنت ، شهريار الذى صنعت عواطف قلبك وخيالات

عقلك .. شهريار عمره ألف ليلة وليلة من السعادة .. شهريار الذى سافر
بخياله فى خيالك وبرفقة روحك الطاهرة الى كل زمان ومكان .. شهريار
الذى حملته كلماتك المعطرة ورفقتك الملائكية الى عوالم لم تطأها أقدام
بشر فعاش فيها الحياة التى كان ينشدها طوال حياته . أما شهريار الاخر
فقد صار رمادا حملته رياح الماضى الى حيث أراحتنى من رؤياه الى الأبد
ما أعظم ذلك الانسان الذى يستطيع خلق حياة جديدة وساحرة لانسان
اخر.. (ثم جثا على ركبتيه أمام شهرزاد وأمسك بكفيها يغرقهما بقبلات
ممتنة وهو يقول) أنا الان ابنك يا مولاتى وامى وابنتى وصديقتى
ومحبوبتى.. لا أدرى أى مكافئة يمكن أن أكافئك بها .. كل ما أملكه لك
فهل أهب لك التاج لتحكمى الأرض؟ .. ولكن ما الذى أسعدنى أنا فى
حكم الأرض حتى أتمناه لك؟! .. أى سعادة سيجلبها لك التاج والملك يا
ملكة مملكة السعادة .. قولى لى اذن كيف أكافئك؟"

- حبك لى هو مكافئتى وقررة عينى يا مليكى وحبيبى وسيد قلبى
وأفكارى.. لم أطمح يوما الى شىء سوى قلبك .. أن أدخل اليه وأجلس
على عرشه فلا ينازعنى فيه منازع .. هذا هو العرش الذى أطلبه ولا أبغى
مكافئة سواه .. فقد دخلت أنت الى هنا (وأشارت الى قلبها) وجلست

على العرش الذى لا يجلس عليه سوى ملك واحد أبد الدهر.. فهل لى بذلك العرش يا حبيبى؟".

- ان هذا القلب النابض بين جنبى هو صنيع يديك يا عطر الجنة وأنت من صنع له جنته وعرشه ثم جلستى عليه بلا منازع.. وأى منازع يطمح ولو بخياله الى منازعتك على عرشك يا أميرة الأميرات فلا تطير رأسه قبل ان تنزل بها تلك الفكرة؟! .. هل خلق الله امرأة تصلح للجلوس على ذلك العرش سواك يا سيده قلبى.. تقدمى يا صاحبة الأيادى البيضاء واجلسى على عرشك جلوسا لا يعكر صفوك فيه حتى الظنون تقدمى يا حبيبة العمر واهنأى بحصاد غراسك" قال ذلك فتحركت نحوه فضمها الى صدره فتلاصق القلبان وتوحد نبضهما.

صندوق الذكريات

ليلة من ليالى يناير القارصة ، المطر يضرب النوافذ الزجاجية بقوة احساس عذيف بالبرودة التى تتخلل الأوصال ، برودة لا تفلح فى تهدئتها أجهزة التدفئة المنتشرة بالمنزل .. حنين غريب يقود خطاك الى حجرة المكتب .. تفتح أحد الأدراج التى قلما تفتح .. تخرج منه صندوقا صغيرا مطعم بالصدف الأبيض .. تجلس الى كرسى الفوتيه المريح والصندوق بين كفيك .. تمعن النظر اليه .. مزيج غريب من المشاعر يتداعى من داخلك حنين وألم ، شوق ومرارة ، لهفة وتقزز .. المطر يضرب النوافذ بقسوة والخواء والبرد يضريان باطنك أنت بقسوة أشد .. تمتد أصابعك لتفتح الصندوق الصغير ذى البطانة الحريرية السوداء .. تتطلع الى الرسائل القديمة وتشم رائحتها .. تفرغ محتويات الصندوق فوق منضدة صغيرة أمامك وتجول كفك بين تلك المحتويات.

" وجوه كثيرة تداخلت فى حياتى وتعاقبت عليها ، لكنها كانت كظلال بشر لا تترك فى حياتى اثر ، ولا يهتزلها قلبى بخفقة ، حتى رأيت

وجهك أنت .. انه الوجه الأوحـد الذى ارتسم فى قلبى وحفر فى وجدانى
وجدت فىك رجلا مختلفا عن كل من عرفتهم ، وجدت فىك المعانى التى لم
أعـهدها فى بشر من قبل .. سابـح فى عالم فريد ، عالم قريب بعيد ، صفاء
روحك يشدنى الى هذا العالم الخاص ويدفعنى الى الغوص فى أعماقه
احساسك العميق بالحياة يسحبـنى معك فى رحلة سماوية محلقة "
الاحساس بالغربة كان احساسا ملازما لك .. تشعر دوما بأن هذه
الدنيا ليست وطنك .. ربما جئت فى زمان ليس بزمانك ، وربما كنت
مخلوقا من كوكب اخر .. لم تستطع تقبل الحياة على علاقتها .. جعلت
احتكاكك بها فى أضيق الحدود ، وصنعت حول نفسك تلك الصدفة
الصلبة زاعما أن الكائن الرخوفى داخلك ، ذلك الذى لا يطيق مواجهة
الحياة سيصنع كما يصنع حيوان اللؤلؤ حين يغلق عليه صدفته ، وأن
اللؤلؤة تتشكل فى داخلك على مهل بعيدا عن ضجيج الناس وقبح حياتهم
كان هذا هو رأيك فىمن حولك وكان رأيهم هم أنك مخلوق متعال أو تافه
تتشـدق بالكمال أو ربما أجبـن من أن تواجه الحياة الحقيقية ، لكن مفهوم
كلا منكم للحياة الحقيقية كان مختلفا عن الاخر

ظللت فى واديك وهم فى واديهم ، تشعر بأن الفجوة بينكم تتباعد حتى استقر فى يقينك أن حياتك الحقيقية لن تكون على تلك الأرض وولد داخلك السؤال الحائر: فأين تكون اذن؟ .. هل تستغنى بدنيا اللحم عن دنيا الواقع ما دام تحويل اللحم الى واقع أمر مستحيل؟ .. ربما لم تكن راضيا تماما عن هذا الحل ، لكن لم يكن أمامك سواه ، فاستسلمت لحلاوة اللحم وكلما ضيقت عليك قماءة الحياة كان فى اللحم المتسع وكان فى خيالك الملجأ والملاذ .. أنشأت عالمك السحري فوق سحابة وردية بعيدا عن جو الأرض الملوث وصارت متعتك هى الحياة فوق السحاب والتطلع الى هموم الدنيا من عل.

" كنت لى دوما النموذج الفريد الجذاب .. نسمة عابرة .. مخلوق يعيش بين السماء والأرض يبحث عن معنى لكل شىء ، يمضى منقبا فى كتاب الكون العظيم عن معانى الحقيقة والجمال "

" أنت ، ماذا أقول عنك؟! .. حنان دافق وعزيمة متحدية .. سكون الصمت وتمرد البركان .. قلب يفيض بالحب وعقل يفك طلاسم الحياة وألغازها"

" أنت ، ماذا أقول عنك؟! .. روح وجسد .. روح سكتنتى وامتزجت بروحي ، وجسد صورته فى نفسى وحفرت تفاصيل ملامحه فى كيانى أنت ، ماذا أقول عنك؟! ، أنت الحياة .. أنت الجمال .. أنت المعنى "

لا تدرى أنت كيف وصلت هى الى عالمك الخاص .. كيف صعدت الى سحابتك الوردية .. كان هذا العالم لك وحدك ، لم تطرقه من قبل قدم بشر سواك حتى فاجأتك هى فى قلب عالمك فسألتها مندهشا : كيف وصلت الى هنا؟ .. فلم تجيبك سوى بابتسامة .. تهيب كائنك الرخو من رؤية بشرى فى دنيا الأحلام فولى هاربا محتميا بصدفته الصلبة .. لكنها جاءت اليه وطرقت على تلك الصدفة طرقات حانية ذاب لها قلبك حاولت هى طمأنة مخاوفك ، قالت لك انها مثلك ، مخلوقة من نفس معدنك أو ربما هى شطرك الاخر .. أدهشك منها مقالها أنها جاءت فى

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆————◆ مجموعة قصصية

زمان غير زمانها أو ربما كانت من كوكب اخر .. أحسست فى كلماتها
صدى خواطرك فبدأت الصدفة تنفتح على مهل .. قالت أن حياتها قد
انقضت فى البحث عنك أنت دون سواك .. قالت أنك لها الحلم والأمل
" أيقظت فى جذوة الحب الجامح ، وجعلتنى مشدودة اليك بخيوط
خفية لا أعلم كنهها"

" يحيط بنا أحيانا العديد من الأشخاص لكن عينى لا ترى سواك
ولسانى لا يخاطب غيرك ، وكأن كل من حولنا خيالات لا وجود لها
أحتضنك بعينى ، أضمك الى قلبى "

قالت أنها حين ارتأتك فى دنيا الناس أحست بألفة لم تعهدها فى
تلك الحياة القاحلة .. تملكها حب عجزت عن التحكم فيه بل صار هو
سيدها ومسير خطاها .. لكن أين أنت؟ تساءلت كثيرا: ألا تراها؟ ألا
تشعر بحبها؟ ألا تشعر بأنها الربيع الذى جاء لينير وجه الحياة بزهره
وعطره.

"عذبنى احساسى بأنك لا تشعر بحبى ولا تبادلنى به حبا .. حاولت مرارا أن أجتث جذور ذلك الحب الذى ينمو فى قلبى يوما بعد يوم ، لكنى كلما حاولت الابتعاد عنك أجدنى مشدودة أكثر فأكثر الى روحك بخيوط شفافة فى نعومة الحرير لكنها فى قوة الفولاذ .. ساعتها أيقنت أن قلبى يعجز أن يطوع نفسه لرجائى ومحاولاتى وعلمت أن لا حياة لى بدونك وأنت أكسير حياتى ، فتوقفت عن محاولاتى واستسلمت راضية لحيرتى وعذابى"

كنت على الدوام من أشد المؤمنين بالحب ، كان هو محبوبك الأول كان يصوغ لك من نفسه طيفا لشطرك الاخر الذى تتوق الى لقيه .. كان لذلك لذة تعينك على شقاء الحياة المتواصل .. لكنك لم تتخيل يوما أن يكون مذاق الحب الحقيقى هكذا .. لذة تفوق الوصف ونشوة تدفقت فى دمائك لتحيبى كل الحواس .. صبغ جمالها الكون بصبغته فغدا كل ما فيه جميلا .. أسكرتك نشوة الحب وطارت بك الى أعلى الذرى .. هل يمكن أن يتجسد الحلم بهذا الوضوح وهذه الدقة المتناهية؟! .. ليس ذلك فحسب

بل يأتى اليك سعيا دون تدبير أو تقدير .. خطوت الخطوة التى تهيبتها طوال حياتك ، غادرت دفء صدفتك الامنة ولكن الى حضنها الأكثر دفئا غرستها فى قلبك وقالت أنها غرستك فى قلبها .. انطلقت تجوب بها عالمك الخاص ، عالمك الجميل الذى بنيته فى هدوء بعيدا عن أعين الفضوليين وكنت تضن به على جميع البشر ، كنت تخشى أن يدخل اليه من يفسد جماله الذى بنيته بصبرك الطويل .. لكنك أدخلتها هى حين تيقنت أنه سيزداد بها جمالا .. مضيت تطوف بها وقد داخلك شعور بأن كل شىء فى عالمك الجميل يبتسم سعيدا بمقدمها ، أما عنها هى فقد كانت مبهورة بكل ما ترى .

" فى كل لقاء لى معك أشعر كأنك تأخذنى لارتياح حفل تاريخى كل شىء فيه يلمع بألوان قوس قزح .. تضرب بعصاك السحرية فتنشق الأرض عن جداول مياه رقراقة أغتسل فيها من همومى ، وبساتين زاهرة تبعث فى نفسى سكينه نادرة لم استشعرها من قبل "

" تعلمت معك ثقافة الانصات وفن الصمت .. فتحت أمام عقلى عالم
رحب لم أكن أعلم عنه شىء .. أعدتني بعذرية كلماتك الى زمن الحكايات
الملونة التى تحكيها الجدات .. أخذتني بصراحتك الخرافية الى زمن
البراءة الأولى "

" لم يعد للزمن حساب ولم أعد أحس بعقارب الساعة فى وجودك "
قالت لك ان فرحتها بك هى فرحة الأم العاقر التى يئست من
الشفاء وانقطع أملها فى رؤية وليدها يبتسم لها ، ابتغت العلاج فى كل
أنحاء الأرض حتى استقر فى داخلها أنه لا علاج .. مات فى داخلها الأمل
واستسلمت لمرارة الحرمان حتى بدأت تعادها .. عندئذ أنعمت عليها
الحياة – التى قلما تجود بلحظة هناء- بوليد كأجمل ما يكون ، انتشلها
من قاع الشقاء الى ذروة السعادة .. سحبها من بحار الخواطر السود الى
بساتين الحلم الزاهرة ، فانطلقت معه كطفل صغير الى عالمه الجميل الذى
كانت تتحرق اليه شوقا.

" أنقذتني بزورق نجاة من خشب الأمان بعيدا عن أمواج حياتي
الملاطمة .. فتحت لك خزانة عقلى المشتت لتتوغل بين خباياه ثم تعيد
ترتيب أدراجه المبعثرة"

" لم أعد أضع المتاريس على لسانى كلما حدثتك .. لم أعد أبالى بما
تعلمته من بروتوكولات وقواعد .. أدخلتك معى الى خبايا نفسى
وجدتني أخرج لك من أعماقى أشباح خوفى .. ما من أحد قبلك استطاع
الولوج الى سراديب روحى وخبايا نفسى مثلك "

" فجرت بداخلى براكين الحب والشوق التى وصلت بى الى حد
الاحتراق، اقتحمتنى اعصار الحب فلم استطع منه فكاكا ، وجرفنى التيار
العالى صوب بحر متلاطم الأمواج .. اندفع شلال الأحاسيس ليغرقنى فى
محيط مياه خضرت صحراء حياتى فاستسلمت لتيار الحب حتى
الشمالة"

" اننى اعترف لك اننى لم أعرف لقلبي خفقة حب واحدة ولا رعشة
شوق مزلزلة ولا أحسست بلمسة حانية حتى ظهرت فى سماء حياتى

كبرق لامع .. أعترف لك بأنك أصبحت مركز الكون بالنسبة لى ، انتشلتنى بسحر حبك من روتين حياتى الجافة وطففت بى فى عوالم لم أحلم بوجودها .. أعترف لك بتلك المشاعر التى انبعثت داخلى منذ التقت عيناي بعيناك لتقفز بداخلى نشوة غامضة أحسستها تسرى بجسدى كالخدر اللذيذ"

" أعترف لك بعشقى اللانهائى .. أعشق كل شىء فىك .. أعشق صورتك التى حفرت فى قلبى .. أعشق صوتك الذى يدب فى أعماقى كطرقات تفتح أبوابى المغلقة فى رقة وحنان .. أعشق ذكائك المختبىء داخل طيات براءة كلماتك .. أعشق عالمك الخاص الذى تحيا فيه .. أعشق استغناءك عن الآخرين كأنك حاكم متوج لمدينة من الزاهدين المشعين ضياء على كل ما ومن حولهم .. أعترف لك بأننى أريدك الان ، أريد أن نربط حياتنا معا ، أريد أن أمسك بحلمى معك "

" لكل انسان مثل أعلى يركض وراءه ، ربما كان هذا المثل الأعلى فكرة أو مبدأ أو انسان ، أما أنا فالحب هو مرشدى فى الحياة ، هو الاحساس

الوحيد الذى يقود خطواتى .. لن يستطيع أحد أن ينتزعك منى .. سنرسم
معا خريطة واضحة المعالم لمستقبل متدفق بسيل العواطف الجامحة
ومغزول بخيوط الأمل.. سنعيش فى معبدا الذى شيدهنا بصبرنا فى عالما
الخاص .. سنسبح فى بحار عشقنا ونتطهر من الأدران التى علقت بنا من
عالم البشر ، سننهل من ينابيع الصفاء والأمان والسكينة .. أقسم حبيبى
لك – وأظننى عندك صدقة- أننى وهبتك قلبى وروحى وكل ما أملك فلن
أكون الا لك ، فكن لى حبيبى ولا تكن لامرأة سواى "

* * *

شعور ممض بالمرارة والتقرز ، احساس بعدمية كل شىء .. الى أى
مدى يمكن أن يلبس الكذب ثياب الحقيقة وأن تنطوى مسوح الحب
الطاهرة على أنانية مفرطة وحب لامتناهى للذات؟! .. ألا ينبغى لنا أن
نحسد الحية على قدرتها الفائقة على نزع جلد الماضى وتبديله بجلد اخر
أكثر ملائمة لمتطلبات يومها .. ألا تحسد الحرياء على براعتها التى
تستدعى الاعجاب فى التلون باللون المناسب لوسطها الذى تحيا فيه

انها وسيلة خلقتها فيها الطبيعة لتحاكى بيئتها من حولها حتى تضمن لنفسها السلامة.

صحوت من حلمك الجميل لتجد نفسك مصلوبا تحت شمس الواقع الحامية ، تلك الشمس التى بخرت قطرات الندى العالقة بزهرة روحك لتغذيها ، وتبخرت مع حرارتها أيضا وعود نسجت من أكاذيب روتها شفاه ستروى أكاذيب غيرها لآخر أو ربما اخرين.

لكن ضربتك أنت كانت فى مقتل .. عشت ترقب الاخرين يتساقطون بلا وعى على الطريق الطويل الشائك وعجلة الحياة تطحنهم بلا رحمة فوقفت فى وجه الشقاء وأعلنت الحرب .. قررت أن تتحدى القبح بالجمال ، أن تتحدى الواقع بالخيال ، أن ترفع راية الحلم وألا تسقط بين حجرى الرعى .. لكنك لم تدرك أن موازين اللعبة بينك وبين الحياة ليست فى صالحك ، انها لعبة الخالدين مع الهالكين وهى لعبة محسومة نتائجها سلفا .

على جانب الطريق لاحت لك زهرة الأحلام فبهرك نورها وخدرك شذاها وأغررتك بالاقتراب والملامسة .. وبلا عقل – شأنك شأن كل الهالكين

خمسة مراكز بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

اندفعت الى مصيرك كالأعمى كما يندفع الفراش الى نار هلاكه .. مضيت
تتحسس الوردة بكف حانية ، فبرزت من أحضانها الأشواك التى مزقت
كفك وسرى سمها فى أوردتك.

قد تقتل العادة الامنا ولكن .. ولكن ما الذى يموت مع موت الام اذا

ماتت؟

عدا جرحك مزمننا .. قد تكون الامه أخف حدة ، لكنها أعمق فى
نسيج الروح وأكثر قدرة على تغيير كل شىء فى أعماق النفس .. نصرخ
للالم الحادة حين تذهلنا عن أنفسنا لكننا نعود الى أنفسنا مقهورين
ونستصحب معنا ذلك الرفيق الأبدى الذى سيلزم الروح منذ تلك اللحظة
وهو الألم المزمّن .. هو شىء لا يمكن تحديده أو وصفه يمضى حاملا شرابه
المرمقرا اياه فى كل جانب من جوانب النفس وفى كل وجه من وجوه
الحياة .. تختفى من حياتك كل الألوان فلا يبقى منها سوى الرمادى
لون النفاق .. لون الشيخوخة .. اللون الذى هبط على حياتك فأفقدتها كل
مذاق .. اللون الذى استوطن حياتك فى تحدى سافر معلنا أنه لا عودة
للألوان الربيع بعد الان ، ثم يتسم ابتسامة مقبّية معلنا فى تبجح أنه رغم
كونه الأبعض الى قلبك الا انه اللون الوحيد الحقيقى وأن كل ما يرسم

فى ذاكرتك من ألوان أخرى كانت محض خيال وأكاذيب تراءت لعينيك على ضوء القمر الشاعر الذى يستحى أن يفضح المشاعر الزائفة فتشمل عباءته الحانية الصادق والكذوب ، لكن الشمس القوية دوما أكثر منه صراحة تسلط نيران امتحانها على كل ادعاء فلا يبقى تحتها الا ما يستحق البقاء .. فأين ألوانك التى همت بها ، لماذا لم تصمد لنار الاختبار

* * *

لماذا لا تقوى على تدمير تلك القصصات التى عشت بها يوما فى جنة الحب ثم أثبتت لك الأيام أنها حزمة من الأكاذيب التى لا تساوى مداد الحبر الذى كتبت به؟! .. ربما كانت الان أكاذيب لكنها كانت لك يوما حياة وأى حياة ، حياة لا تملك الأنفصال عنها ونسيانها رغم أنها زالت ولم يبق منها سوى أطلال .. لكنها أطلال خالدة ستظل باقية تحكى قصة الحب والوهم .. قصة الحلم والغدر.

طوى قصصات الزمن البائد الخالد وأودعها فى صندوقها الصغير نى الأصداف البيضاء والبطانة الحريرية السوداء.

عودة الروح

كان الكاهن الأكبر يمضى بخطوات متسارعة بالقدر الذى يتيح له عمره الذى جاوز المائة عام حتى بلغ باب مخدع الأميرة .. استأذن فى الدخول عليها فأذنت له.. ما كاد يدخل حتى تبدت له الأميرة الجميلة فى حال من القلق والتوتر ظهرت بوضوح على قسماط وجهها الجميل وفى أعماق عينيها القلقتين وأصابعها المتوترة بانقباضاتها وانبساطاتها المستمرة.

" أبى الكاهن الأعظم!! " قالتها الأميرة فى لهفة حين رأت الكاهن " مولاتى الأميرة الجميلة.. ابنة النيل الخالد.. عروس مصر والدنيا " قالها الكاهن وهو ينحنى فى احترام.

طال انتظارى لمقدمك!!

مولاتى .. ان رسولك ما كاد يحمل الى طلبك المقدس برؤياى حتى لبيت طائعا بغير ابطاء.

نعم نعم .. ربما سبب ذلك ما أنا فيه من قلق ولهفة.

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

أى قلق يا مولاتى؟! حفظك الاله وحمى قلبك الطاهر.
"حبيبى الأمير يا أبتي وكاتم سرى!!" قالتها الأميرة فى شوق ولهفة
"الأمير!!" (ثم بعد صمت قصير) فليهنأ فى مملكة الجنة ولينعم فى
ملكوت الآخرة" قالها الكاهن فى خشوع.
ان حبيبى لم يميت يا أبتاه!!
أجل أجل يا مولاتى .. فالأخيار لا يموتون والأرواح الطيبة تطير فى
سماء الخلود .. ان مولاي الأمير لم يميت يا مولاتى لكنه انتقل الى حياة
الآخرة، حياة الخالدين.

ان حبيبى لم ينتقل الى الآخرة بل لا زال فى الدنيا.
"مولاتى!!" قالها الكاهن فى دهشة واشفاق.
- لا تخف يا ابت فأنا ما زلت محتفظة بعقلى ولكن أنصت الى
قليلا" قالتها الأميرة وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة لطمأنة الكاهن
الذى جلس ولم تبرحه دهشته، فاستطردت الأميرة:

لقد رأيت الليلة حلما هو رسالة من الاله يا ابت تخبرنى أن حبيبى لا زال حيا (نظر اليها الكاهن بعينين متسائلتين فاستطردت).. لقد رأيتنى أمضى الى مقبرة حبيبى، أدخلها وأمضى فى غمرة أنوار مهيبه الى حيث تابوته المقدس، وقبل أن أفتحه سمعت اسمى يتردد فى حنان خافت من داخل التابوت فذاب قلبى شوقا وعض الصوت الحنون قلبى الموجه حاولت أن أرفع الغطاء عن التابوت لكنه كان ثقيلًا .. حاولت كثيرا حتى حطم قلبى عجزى عن رفع الغطاء .. تلفت يمينا ويسارا بحثا عن معين يعيننى على وصل محبوبى ودموعى تترقرق فى عينى وتردد صوته الحبيب من داخل التابوت يوجع قلبى ويسعده لكن هاتفا بصوت حبيبى هتف داخلى أنه لن يساعدنا على التقاء أشواقنا سوى عزائنا فلا تبحتى عن معين من خارج نفسك ولكن استجدى قلبك الحب الشامخ بين الأضلاع .. سألت دمعات من عينى وأحسست بقوة هائلة تدب فى داخلى ، دفعت الغطاء فانفتح التابوت.. رفعت غطاء الكتان الأبيض فرأيت جسد حبيبى قد تحلل الى حبيبات من التبرلها رائحة العنبر

خمسة مراكب بلا شاطيء ♦—————♦ مجموعة قصصية

تحلل جميعه ولم يبق منه سوى قلب حى ينبض باسمى .. أجل يا أبت
لقد تحلل جسده فلم يبق منه سوى قلب نابض باسمى وبحبى!! " قالتها
الأميرة وقد سالت دموعها الساخنة على وجنتيها.

" مولاتى الأميرة!!" قالها الكاهن فى مواساة واشفاق، فرفعت الأميرة
رأسها ومسحت دموعها وهى تقول:

ان حبيبي لا زال حيا .. هكذا يؤكد لى قلبى.
اذا كانت مولاتى تقصد حياة القلب وحياة الحب فأنا أويدها فى
ذلك.

لقد قررت أن أزور مقبرته.

فليبارك الاله خطاك.

وأفتح التابوت.

لماذا يا مولاتى؟!.. فلندع أحبابنا مطمئنين فى نعيمهم الأبدى!!

انى أدرى بنعيمه منكم.

ولكن يا مولاتى!!

خمسة مراكب بلا شاطئ ♦ ————— ♦ مجموعة قصصية

قلت لك انى أدرى بنعيم حبيبي منكم .. ان حبيبي لم يمت وقلبي لا يكذبني.

هلا أعدت التفكير فى ذلك يا مولاتى؟

" بل هيا سنمضى الى المقبرة " قالتها الأميرة متجاهلة رجاءه

ألا ينبغى الأستعداد لذلك أولاً؟؟

" لقد أعددت كل شىء " فصمت الكاهن حين نظرت اليه الأميرة

وتساءلت:

ماذا ترى؟

"الرأى ما ترى مولاتى " قالها فى استسلام.

" اذن فلنمض الان "

* * *

" سأدخل أنا والكاهن الأعظم فقط " قالتها الأميرة وأوقفت الموكب

المصاحب لها باشارة من يدها عند باب المقبرة، فأحنى الجميع رءوسهم

طاعة .. رفعوا لها الغطاء الحجرى الضخم .. نزلت على السلم الحجرى

المعقود حتى بلغت اخره .. كانت تحمل المشعل فى يدها، حاول الكاهن أن يحمله عنها فأببت ومضت تدفعها الأشواق وتستحث خطاها .. فؤادها يخفق فى حنان وألم .. الهواء المكتوم يحمل اليها عبق الأمس والذكريات صوت النبضات التى ترامت لأذنيها تسمعه الان ويزداد وضوحا فى أذنيها كلما اقتربت من التابوت:

" هل تسمع يا أبتاه؟ " قالتها بعينين دامعتين وفم مبتسم.

" أسمع ماذا يا مولاتى؟! "

" نبضات قلب حبيبى !! " فصمت الكاهن العجوز الذى بدأ يتهم

حاسة السمع لديه ، أما هى فواصلت خطوها دون أن تهتم بسماع رده منذ متى كان يسمعه سواها أو يسمعها سواه .. حسبها أن يسمعها وأن تسمعه .. ثبتت المشعل بجوار التابوت ولا مست التابوت بأناملها فى حنان وقالت وقد شرقت بدموعها : " انه ينادينى!!.. انه يقول لى لقد طال انتظارى لك يا حبيبة القلب!!.. لم كل هذا الهجر؟! " .. كلا يا حبيبى لم يكن هجرا، مزقت وحدتنا أكف البشر فجمعتنا يد الاله " قالتها الأميرة

ثم دفعت الغطاء بيديها فانفتح، وبشوق وحنان أزاحت الغطاء الكتانى الأبيض عن وجهه فتعالى وجيب قلبها المؤلم وقالت وأنفاسها تتسارع " ألم أقل لك انه لم يميت؟! " .. نظر الكاهن الى داخل التابوت فرأى الأمير راقدا كالنائم .. لم يغير الموت من هيئته شيئاً رغم مرور الزمن!! .. عجب كثيراً ولكن .. لكن ذلك لا يعنى أنه لا زال حيا .. فكرفى هذا الأمر لكنه لم يصارح الأميرة العاشقة .. دنت الأميرة بوجهها فوق وجه الأمير حتى ترددت أنفاسها الحارة على صفحة وجهه وقالت والدمع يفيض من عينيها الجميلتين:- " ها انا الى جوارك يا حبيبى ونبض قلبى.. ها قد عدت اليك وعدت أنت الى .. ألم أقل لك ان شيئاً لن يفرق بيننا يوماً سنحيا معا ونموت معا .. ألم أقل لك اننا كيان واحد لا ينفصل شطراه ولا حياة لأى منا دون الاخر .. ألم أقل لك ان حبنا تقيمة الخلود؟! " كانت تردد ذلك ودموعها تتساقط على وجهه ثم لامست شفقيه بشفتيها فى قبلة حنون فسرت فى الجسد الراقدر عشة فرفعت الأميرة رأسها ونظرت الى حبيبها ذاهلة .. فتح الأمير عينيه وبقي لحظة كالذاهل لا يفعل شيئاً

سوى النظر فى عينيها.. أما عنها فقد كانت مشاعرها مزيجا من الدهشة والسعادة ، تبتسم وتسيل أدمعها .. أما الكاهن فقد نظر الى التابوت ذاهلا لا يصدق ما يرى .. لقد أحيت دموع ايزيس اوروريس لكنها كانت معجزة فهل تتكرر المعجزات؟!.. وكأنما قرأت الأميرة أفكاره فقد قالت " الحب هو المعجزة .. وما دام الحب باقيا فان المعجزات تتكرر" وأمسكت الأميرة بيد أميرها فأقامته من مرقدته فى ردائه الأبيض وقالت:

"أهكذا تفارقنى وحيدة فى الحياة؟ كيف هان عليك ذلك؟! " قالتها الأميرة فى عتاب حان فانحنى الأمير يقبل أناملها ثم رفع رأسه وحدث فى عينيها قائلا:

لاح لى شبح الفراق وهم يسحبونك بعيدا عنى .. جلست وحدى مفكرا أى حياة تلك التى أحياها بعيدا عن أميرتى الحبيبة؟! .. أنت أيتها العين ماذا تصنعين ان لم تطالعى محياها الجميل وابتسامتها العذبة وعينيها الساحرتين ليل نهار؟ .. وأنتما ايها الأذنان أى حياة لك بغير حديثها الخلاب وصوتها المنعوم؟ .. وأنت ايتها الأنف هل لك بقاء بغير تنسم

أنفاسها المعطرة؟.. وأنتما ايها القدمان ما شغلكما ان لم تسعيا الى لقيها؟.. وأنت أيتها الأنامل أى حياة لك ان لم تعانقى أناملها؟ .. وأنت يا جميع الجسد أى حياة لك بعد فراقها؟! " ولقد دعوت الاله ألا يعذب منى عضو بالحياة بغير زاد من وصال من أحب فاستجاب لى فأنام كل عضو من جسدى عدا ذلك القلب الذى استمد حياته من احتوائه لحبك وظل يغنى باسمك فى كل نبضة من نبضاته مؤنسا تلك الأعضاء النائمة مترقبا وصول الأميرة الجميلة، الساحرة الصغيرة التى ستمس الجسد الراقد بسحرها فتبعث فيه الحياة، كنت على يقين من عودتك الى يقينا لا يتناهى اليه شك .. روح تائه ظل يبحث فى الأرض طولاً وعرضاً ينادى الفه حتى التقاه، التحم به وامتزجت كل خلية من خلاياه بشبيبتها، فأى قوى ذلك الكون يمكنها أن تفصل بينهما؟! هل يقوى على ذلك زمان أو مكان؟! هل يقوى عليه انس أو جان؟!

فارسى وحببى .. والله ما رقالى جفن ولا استلذت عينى بمنام مذ حرمت الاكتحال بروياك .. ولا أطبقت أجفانى الا رأيتك بين الجفن

والحدق، ولا اختلس الكرى من عيناي لحظات خاطفة الا كنت فيها
أنيسى وجليسى، وتساءلت فى دهشة عن ذلك الحب الخالد خلود الدهر
الفائض بالعتاء والبركة كنيانا المقدس!! .. عذبتنى أشواقى اليك
وحرمانى من رؤياك .. تراءت لعينى تلك الأسوار السود العالية التى
أقاموها حولى فاصلا بينى وبينك ثم جاءوا يناشدونى الخروج من عزلتى
والاقبال على الحياة!! .. أن أسعد بمباهجها ولذاتها!! .. كلما خطوت
خطوة صدمتنى الأسوار السود فأرتد الى وحدتى فى حزن أقتات ذكرى
أيام السعادة .. حين كان العالم كله جميلا زاهيا، نجوبه طولاً وعرضاً
ونحن فى أماكننا جلوس .. نقطف الزهور، نطارد الفراش، نمسك الألوان
بين أناملنا للتلون صفحة الكون بألوان الشروق أو الغروب .. نرسم فى
اطار اللوحة البهيجة الأنهار والأشجار والأزهار ثم نقفز الى داخل ما
رسمت يدانا معا .. نستمع الى شدة العصافير ونصغى الى خريير الماء
نرنو الى الغزالات المنطلقات فى مرج، والبيجات السابحات فى زهو
هاديء .. نتلاصق فيحيطنا الحب بوقاء من كل برد أو حر .. نقفز الى

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

النهر العظيم نغسل فيه من هموم الحياة ومتاعبها، تشرق علينا الشمس فتبخرنا أشعتها من سطح النيل العظيم وتحملنا الى سماء وردية السحاب، تحملنا الريح عبر البلدان ثم نتساقط غيثا يحيى الأرض الموات جثا على ركبتيه أمامها وأخذ كفيها بين سببتيه وابهاميه ثم أغرق ظاهر كفيها بقبلاته ودموعه وهو يقول:

" والان يا حبيبتي ها أنت تعودين الى فتعود الروح الى الجسد الليلة يا سيدتي سأحملك الى الجنة .. سأحملك الى الكنز الذى عشت حياتى أدخره لك، الى المملكة التى كانت لنا يوما حلما حتى بنيتها لك مملكة بنيتها لك بعيدا عن أعين الناس ولكن هل ستتخلين عن عرش طيبة؟ "

" سأحيا معك ولو فى هذه المقبرة " قالتها وقد تجلت روحها المحبة وقلبها العاشق فى قسامات وجهها، فقال وهو يضمها الى صدره:
أنت كنز الكنوز.. أنت الحقيقة والجمال فى عالم الزيف والقبح

والان يا حبيبي هيا الى سطح الأرض حتى ترى النور.

النور هو حيث حللت أنت يا أجمل كوكب درى .. لقد كنت فوق

الأرض يوماً فأظلمت الدنيا حين حرمت منك .. وهنا فى قلب المقبرة

أضاءت الدنيا بمقدمك، فأى قطعة من الجنة غدت المقبرة بقدمك حين

طابت ثراها بخطاك؟!!! "

"هيا هيا يا حبيبي .. انتق من تلك الملابس أجملها وانزع عنك رداء

الموت الأبيض" قالتها وهى تشير الى صندوق فى جانب المقبرة حيث

دفنت الملابس مع الأمير، ثم استطردت:

والان سأمضى لأهياً لك الموكب ليستقبلك أعظم استقبال.

" كلا " قالها الأمير بقوة ثم استطرد فى رقة " بل لتصرفى هذا الموكب

فلا أرغب فى رؤية أحد سواك ولا أريد أن أرى فى حضرتك أحدا .. لن

يعكر صفو وحدتنا بشر .. ستحتفل جوارحى وقلبى ويحتفل معها الكون

بعودة الروح الى الجسد"

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆————◆ مجموعة قصصية

لك ما تريد يا حبيبى ولكن عجل ولا تتراخ فانى فى شوق عظيم
" لك الأمريا مولاتى وعلىّ السمع والطاعة " قالها مبتسما وهو يقبلها
بين عينيها.

مضت الأميرة الى خارج المقبرة وتبعها الكاهن فصرفت الموكب كله
أحس الكاهن بأن وجوده بات غير ذى فائدة فاستأذن الأميرة فى
الانصراف فأذنت له، وما هى الا لحظات وكان الأمير يقف الى جوار
الأميرة خارج المقبرة يتطلع الى النور ثم يحدّق فى وجهها الحبيب ويقول
مبتسما:

انى يا حبة القلب ما يعينى ضوء ولا هواء ولا ضيق الدنيا ولا
اتساعها وما يعينى سوى وجودك دوما الى جوارى، فضوء عينيك يضىء
لى الدنيا فأراها دوما جميلة ملونة ما دمت الى جوارى ثم تعمى العين فلا
ترى شيئا بعد فراقك .. أما الهواء فلا يعنى فى حياتى سوى أنفاسك
الطيبة يا قارورة المسك .. أما عن ضيق الدنيا واتساعها فحيثما حللت

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

فهي الجنة الواسعة لا نهاية لها واذا غبت فهو القبر ولو كنت فى جنة الجنان فحياتى بين يديك وموتى هو انصرافك عنى."

"كلا يا حبيبى فان الذى جمع قلبينا أرحم من أن يفرق بيننا" قالتها وهى ترتقى بوجهها على صدره فيضمها فى حنان ويداعب شعرها بكفه

* * *

وفى المساء كان القمر يفرش عباؤه الفضية على الكون الفسيح حين كان الأمير يجدف بمجدافيه على أحد المراكب المتجهة جنوبا ضد التيار الطبيعة الهادئة والكون يحيا فى لحظة صفاء نادرة، كان الأمير يتناوب النظرات بين قمر السماء ووجه محبوبته ثم يبتسم داخله ويغبط نفسه أن أشركه القدر مع الناس فى قمر السماء ثم أنعم عليه بأجمل القمرين له وحده.. تبادلنا نظرات تحمل من المعانى مالا تطيقه الكلمات حتى زهدا الحديث واكتفيا بلذة الابتسام وحديث الأعين .. وبعد صمت مفعم بالأحاساس العالية قالت الأميرة:

أما كان الأجدربك أن تحضر نوتيا يتولى عنك مشقة التجديف؟
كلا يا حبيبتي فلا مشقة فى شىء أفعله وأنا معك أو أفعله ثم اننى
لا أريد أن يفسد علينا تلك اللحظات غريب أو متطفل "
حسنا يا حبيبى فلتحك لى حكاية كما كنت تفعل فى الماضى
بل اننى الليلة أبغى أن أستمتع بصوتك الملائكى يحكى لى حكاية
لكننى لا أجد الحكى !!

من قال ذلك يا روح الألهام؟! انك لا تقدرين نفسك حق قدرها .. ثم
ان جمال صوتك يكفى، فمهما يكن ما ستقولينه فهو جميل يمتع أذنى
ويطرب قلبى.

"ها أنت تعترف بأنك تبغى فقط سماع فحكاياتى فى ذاتها ليست
مثيرة ولا تذللك " قالت الأميرة ذلك مداعبة.

"انا لم أقل ذلك أيتها المراوغة الجميلة .. أنا قلت أنك لم تستحذى
فقط على ملكة الخيال والأفكار ولكنك أوتيت أيضا حلاوة الصوت وجمال
المنطق " قالها الأمير مبتسما

لكنى الليلة أبغى سماع حكاياتك أنت يا حبيبي .. أشتهى صوتك أنت .. لطالما حفرت حكاياتك فى فؤادى .. تلك التى كنت ترددها علىّ على ضفاف النيل أو تحت ظلال الأشجار العملاقة أو بين أعمدة المعابد حيث تبارك الالهة حبنا .. كان صوتك يغزوني حتى الأعماق .. يتغلغل فى خبايا نفسى فيفتح مغاليقها، يرتاد فى روحى مناطق مجهولة لم تلامسها روح من قبل بل ان بعضها كان خافيا حتى عنى أنا حتى أمطت أنت عنها اللثام .. أتلقى حديثك بروح عطشى تتشرب كلماتك كما تتشرب الأرض العطشى غيث السماء فيندى قلبها وتخرج للدنيا أطايب ثمارها وزهرها.

" " صمت الأمير مفكرا شاردا

" ما بك يا حبيبي؟! " سألت الأميرة برقة، فرفع رأسه نحوها وقال

مبتسما:

نقاش اخر بين عقلى وقلبى.

" أى نقاش هذا يا ذا العقل والقلب؟ " قالتها الأميرة مداعبة

خمسة مراكب بلا شاطيء ♦—————♦ مجموعة قصصية

ما فتىء قلبى مذ عرفتك يحمل الراية ويخطو الخطوات الأولى فى
المسير والعقل يمضى وراءه طائعا وكلما تساءل العقل عن شىء كان
جواب القلب " امض أيها العقل ورائى فى صمت وستجد جواب كل ما
تسأل عنه فى حينه .. أنا من يلامس عالم الروح اللامحدود، أستشعر من
المعانى العظام مالا يقوى على فهمه ولا عقول البشر أجمعين "
وأى نقاش دار الان بين عقلك وقلبك؟!

انه سؤال اخر من عقل مندهش لقلب يحيا فى حال من الحبور
والنشوة .. سؤال عن ذلك الحب!!
فماله ذلك الحب؟!

ان العقل يبدى اندهاشه كل لحظة .. يتساءل عن ذلك التنامى المطرد
بلا توقف لذلك الحب فى كل لحظة، ما سره وماذا وراء سحره وكيف
يمكن لقلب أن يحتويه؟!

" وبماذا أجاوب القلب؟! " تساءلت باسمه

عاد يؤكد فكرته التي يكررها دوما للعقل بأن ذلك شىء فوق مستوى ادراكه .. فالحب نبع خالد متجدد يفيض من عين لا تنضب فى كوكب جميل بعيد غامض لا يروى الا لقلوبا شفافه نقيه تم تهيأتها لتقبل ذلك الماء الطاهر المقدس وبقدر نقاء الأناء يكون نصيبه من الماء المقدس وبقدر محافظته على أن يبقى نقياً تكون ديمومة سقياه من نبع الحب الخالد ثم ان ذلك النبع الخالد ينبع من معبد الهة الحب التى تهمس فيه كل حين بسر من أسرارها يحمله الى قلوبين خلقا لبعضهما منذ نشأة الخلق فيحمل النهر المقدس همسة الهة الحب الى القلوبين النقيين فيرشد كلا الى الفه جامعا لهما فى رباط مقدس زارعا فى جنتهما المشتركة نبتة صغيرة طاهرة يداوم على سقياها ونفحها بأسرار الهة الحب.

كان الأمير يتحدث والأميرة تصغى اليه بعينيها المحبتين وقلبها ذى الأشواق المرهفة .. فنظر اليها الأمير باسماء ثم قال:

والان يا سيدتى ومليكة قلبى سأحدثك بحكاية الهة الحب ومملكتها المسحورة ونهر الحب ونبعه الخالد وكوكبه الغامض.

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

مضى الأمير يحدث الأميرة بحكايته حتى فرغ منها ثم نظر اليها
باسما فأرأها ترنو اليه ببراءة ووجهه ملائكى حنون عذب فثارت فى قلبه
كوا من الحب والحنان، حتى انتبهت الأميرة الى نظره اليها فتلفتت
حولها وقالت باسمه:

أندرى يا حبيبى أنك تجدّف ضد التيار؟

نعم يا أميرتى أعلم ذلك جيدا.

ألا تحس لذلك بمشقة؟

لا مشقة ما دمتى الى جوارى، ولأجلك أصنع المستحيل أم تراك
نسييت ما قلته صباح اليوم من أن الحب صانع المعجزات وما دام الحب
لم ينته فان عصر المعجزات باق ببقائه.

" يالك من صاحب ذاكرة قوية!! " قالتها ضاحكة

وهل لذاكرتى أن تنسى كلمة جرت من بين شفقتك الجميلتين
وحملت على أنغام صوتك الرقيق؟!

وبعد مسيرة لا يدرى هل طالت أم قصرت وصلا الى جزيرتهما
المرتجاة .. وما لهما والزمان فما يعنى الزمان والحساب ما داما معا
فلتكن مملكتهما قارب فى النيل أو تلك الجزيرة الجميلة عند منابع النيل
فجنتهما فى التلاقى لا فى الأرض ولا الأبنية.

نزل هو وأولا الى الأرض ثم تناول يدها ينزلها برفق ثم طلب منها أن
تفتح عينيها بعد ان كان قد طلب اليها أن تغلقهما قبل الوصول بقليل
فتحت عيناها فسألها " ما رأى مولاتى فى مملكتها الجديدة؟ .. هل
ستكفيها بديلا عن مملكة طيبة التى هجرتها من أجل حبها؟"

نظرت حولها الى الجزيرة الهادئة وتمشت فيها مأخوذة بسمائها
الصافية وأرضها المفروشة بالعشب والبيت الصغير الجميل الذى ابتناه لها
على تلك الربوة القريبة وما أحاط به من أشجار الورد ثم ذلك الهدوء
الشامل .. لا أحد سواهما والطبيعة البكر بسحرها الطاغى .. فتحت
ذراعيها تستقبل النسمات بصدر رحب وتحتضن ضوء الشمس المشرقة
ثم جالت بعينيها فيما حولها وقالت مأخوذة بتحقيق حلمها:

أهذه مملكتى وحدى يا حبيبي؟! فأوماً برأسه ايجابا وقال باسماء
"وأنا هنا خادمك المخلص يا مولاتى" قالها ثم انحنى باسماء، فقالت
وهى تقفز على العشب:

هنا سنحيا وحدنا فلا يتطفل على حبنا أحد .. هنا سنبنى دنيانا
الجميلة، أحياء لك وتحيا لى .. هنا سنمتزج بالطبيعة ونذوب فى ذلك
اللحن الكونى الرائع .. هنا سأضع أطفالى الصغار وأعلمهم الحب والخير
والفضيلة والجمال..

نعم يا حبيبتى ولن أسمع سوى صوتك الشهى فلا يضايقنى عنه
سوى تغريد البلابل .. هنا سأشم أنفاسك المعطرة ولا يضايقنى فى
تنسمها سوى رائحة الزهر المنتشرة فى كل مكان .. هنا سأحيا متطلعا الى
سحر عينيكى لا يصرفنى عنه جمال النيل ولا الطبيعة .. هنا سأحيا فيكى
وأذوب فى دنيك حتى أتلاشى .. هنا سترقب الملائكة ذلك العرس الكونى
الكبير على مسرح من الطبيعة وبطلاه قلبان نابضان بالحب"

هبوط خطأ

بخطوات وثيدة تهبط سلم الطائرة مرتديا معطفك الأسود ممسكا بحقيبتك الصغيرتين .. فى احدهما وضعت متاعك القليل وفى الأخرى تخفى كنزك الأبدى، ذكريات أيام الجنة التى كنت تحيا فيها قبل أن يجرى عليك ما جرى على كل جنسك من شقاء فتطرد من الفردوس فى قلب الحقيبة، وسط تلك الأشياء الصغيرة التى أهدتها لك أو صنعتها لك بيديها كانت تستقر صورتها فى اطارها المذهب وعلى ركن الصورة ذلك الشريط الأسود .. كانت تصغرك بعدة أشهر لكنها رحلت لتبقى أنت وحدك كشجرة عجوز تساقطت عنها الأوراق لتحيا فى خريف دائم .. كل ما حولك قد اصطبغ باللون الرمادى ، لا زهر، لا لون ولا عطر ترتجيه من الغد، فلن يطرق الربيع بابك مرة أخرى ، حسبك أن زارك الربيع مرة واحدة.

وجهها الرقيق ذو الابتسامة العذبة دائم الاطلال عليك من خلف الاطار المذهب وانت لا تدعه يفارقك ليلا أو نهارا ، فى رحلاتك وأسفارك

وحتى فى أماكن العمل .. الصورة لا تفارق الحقيبة والحقيبة لا تفارق يدك ، تقبض عليها بقوة فولاذية .. تخشى أن ينتزعها منك الزمن فى لحظة من لحظات الغفلة فينتزع منك الروح وينتزع من عقلك مراكز الإدراك والوعى وتفقد الاحساس بالزمان والمكان والقيمة .. فهذه الصورة هى البوصلة التى تهديك فى دروب المآهات .. هى الحقيقة فى عالم كل ما فيه كذب وضلال.

والآن بعد غياب افترس من العمر أكثره ، ها أنت تعود الى نفس الأرض التى انتزعتها من حضنك بعنفها المعهود .. لماذا عدت؟ ماذا تبقى لك فى تلك الأرض؟ وما عساک تجنى من ثراها؟ ألم تسمها أنت اكلة الأحلام؟ ألم تبين فى غربتك عالمك الخاص من الذكريات؟ فعم جئت تبحث هنا وفيم جئت تأمل؟

يقودك المرالبراق الى الباب الخارجى للمطار بين صفوف الراحلين والعائدين ، وفى الخارج تتلفت يمينه ويسرة بحثاً عن " تاكسى "

يقلك .. ولكن الى أين؟ .. هذا غير مهم، ليمض بى حيث شاء .. هكذا تقول
لنفسك بلا مبالاة.

هى أرض لا تعرف لنفسك فيها وجهة فلماذا عدت اليها؟
هو مؤلف تراجيديات عبقرى ذلك القدر، شديد القسوة، لا تأخذ
بأبطاله شفقة، يرسم مفاجاته فى نسج حكاياته بدهاء لا مثيل له
لازالت عيناك تتلفتان يمنة ويسرة تلمسا للتاكسى .. وعلى غير
انتظار يتمخض زحام الشارع عن تلك المفاجأة وكأنما انشق عنها بطن
الغيب، حين ترى ذلك الوجه الذى يبرز من وسط الزحام ماضيا فى
طريقه الى حيث تقف.

أصابك الدهول لوهلة وأنت تمعن النظر فى تلك الملامح التى بدت
لك مألوفة وتساءلت: أهى هى؟؟ .. أطلت التحديق فى وجهها فجاءت
من داخلك صرخة تعلن أنه من المستحيل أن تكون هى .. فتساءلت فى
حيرة: لكنها نفس الملامح والقسمات، لم يكد الزمن يترك عليها أثرا
لأيامه الطوال .. فأجابتك الصوت الباطنى بلهجة أكثر حدة ورفضاً: حتى

لو كانت كما ذكرت فهي ليست هي .. حدق في عينيها ان شئت لتتقين
وحدقت في عينيها حين كادت تحاذيك ، ودارت عيناها فيما حولها دورة
عشوائية فوقعت أنت في مجال ابصارها لكنها مضت عنك غير مبالية
شأن من لم يرفيما حوله جديدا أو شيئا يستحق الأنتباه .. ولم تعجب
أنت لعدم ادراكها لوجودك لأنك كنت في تلك اللحظة قد ادركت
الحقيقة .. كانت عيناك قد حدقتا مباشرة في وجهها فرأيت بوضوح
شديد داخل محجريها قطعتي الزجاج الباهتتين اللتين حلتا محل العينين
فاصابتك رجفة امتدت الى قلبك لترسم على صفحته النقية ذلك الشرخ
العميق .. أهاتان هما العينان البريئتان اللتان طالما حلمت بهما وتغنيت
بجمالهما وصفائهما؟! هل تحولتا الى قطعتين من معدن رخيص فغاض
منهما كل بريق للمشاعر وكل معنى للحياة؟!!

عاد النداء الباطنى يناشدك ألا تحزن فالتى رأيتها منذ لحظة
ليست الا شبعا فى تلك الدنيا التى نبذتها ، دنيا الكذب والنفاق .. أما

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

"هى" الحقيقية فهى تلك التى ترقد فى طمأنينة داخل حقيبتك خلف
اطارها المذهب نى الشريط الأسود وبين أضلاعك.

ابتلعت المرارة العالقة فى حلقك حين طرق أذنيك صوت سائق

التاكسى الذى أطل من نافذة التاكسى صائحا " تاكسى يا بيه؟ "
كانت الغربية تناديك من بعيد لتعود فمالك وطن الا هناك
فتبسمت فى مرارة وقلت للسائق " متأسف، لقد هبطت هنا خطأ" ثم
استدرت عائدا من حيث أتيت.

هى

بعد الفجر، فى تلك الساعة الساحرة، كان يقف فى شرفته المطلة
على النيل، تلك الساعة التى استفاقت فيها الطبيعة من أنفاس البشر
الثقيلة التى تجثم عليها طيلة النهار وحتى ساعات متأخرة من الليل، وهى
هى الان تسترد أنفاسها وقد انبعثت آيات الجمال فى كل شىء فيها، فهى
هى خيوط النور قد بددت ظلمة الليل كما يبدد الأمل ظلمة اليأس، وفى
ضياء تلك الخيوط تجلت للعين قطرات الندى العالقة بأوراق الأشجار

خمسة مراكب بلا شاطيء ◆—————◆ مجموعة قصصية

وخدود الأزهار، واستيقظت الطيور فى أعشاشها تشدو بأعذب الألحان
مرددة أدعية الصباح الباكر، غلاف من الجمال البكر يكسو كل شىء أمام
عيني ذلك الفتى الواقف فى شرفته يتأمل.. تلك هى ساعته التى يغتنمها
من يوم طويل ملء بالمتاعب، لكنها تذب فى داخله أملا لا ينام، انه أمل
اللقاء.

فى احدى الامسيات الشعرية كان يتخذ مكانه فى أحد الصفوف
محاوولا الانصات الى كل ما يقال عندما أهلت هى على المجلس فأثار
مراها انتباهه، ربما هى تعبيرات وجهها وخطواتها الواثقة وجلستها
الرزينة الهادئة. اتخذت مجلسها قريبا منه وأخذت ترقب فى انتباه كل
ما يقال على حين مضى هو يرقبها بفضول وانجذاب. انشغل عنها لحظة
قصيرة بالرد على سؤال سأله شخص ما يجلس الى جواره ثم عاد يبحث
عنها الى جواره فلم يجدها فدار ببصره فيما حوله قلقا واذا به يراها تمضى
نحو الميكروفون فى خطوات يكسوها الوقار والثقة بالنفس، ولما استوت
أمام الميكروفون تبسمت وقالت " اساتذتى الأفاضل، زملائى الأعزاء

اسمحوا لى أن أتلو على مسامعكم بعض أبيات سطرتهأ، ولست أدعى أنى شاعرة أو أديبة، ان هى الابعض من خلجات النفس ونبضات القلب سطرتهأ كما أحسستها دون أن أدخل عليها تهذيب أو تشذيب " ثم مضت تقرأ أبياتها، أما هو فقد انجذب اليها بسمعه وبصره وجميع حواسه، ومع تدفقها فى الألقاء أحس بأنه يسحب من أوتار قلبه، وأحس بخفة شديدة وكأنه يوشك أن يطير، وظل يسمو مع أبياتها بيتا وراء بيت وهو مسحور، كان كل شىء فيها يفتنه، حركات يديها، تعبيرات وجهها نطقها ومخارج حروفها، معانيها المتدفقة فى ألفاظ تكسوها الرقة، ما عاد يحس أنه امام امرأة من البشر، بل أحس بأن انهار الفكر والأدب والفنون قد صيغت جميعها تمثالا للابهار تجسد فى هذه المرأة.. أى اعجاز وأى سحر!! انه يحس بأنه نائم كاليقظان أو يقظان كالنائم وما استفاق الا على لمسة يد وضعت على كتفه، واذا بأحد أصحابه يقول " ألن تنصرف؟" فاستفاق سائلا " هل فرغت من القائها؟" فتساءل صاحبه " من هى؟! " تلك التى كانت تلقى علينا من خلجات نفسها ونبضات قلبها.

"يشهد الله اننى لم استمع فى امسية اليوم لامرأة" قالها صاحبه
مبتسما.

تلك التى كانت تنشدنا وهى تقول انها ليست بشاعرة ولا أديبة!

يبدو أن سنة من النوم قد غلبتك فرأيتها فى أحلامك.

فهز رأسه مستنكرا وقال فى عجب "ربما".

ما عاد يهमे بعد ذلك هل راها بعينه أم بعينى خياله، لكنها لم

تفارقه من لحظتها بل بقيت حية فى داخله يتمثلها دوما نموذجاً للجمال

السامى الذى لا تحيط ببهائه الحواس وانما تسمو اليه النفس بحاسة

خاصة لا بد من توافرها لادراك ذلك الجمال، جمال لا ترسمه فرشاة ولا

قلم، جمال خالص بل هو معدن الجمال، جمال كجمال الخير والحق

والفضيلة والحرية، يتمثلها فى شروق الشمس على جنة خضراء، يراها فى

حمرة الشفق المتهادى على صفحة نهر أزرق صاف. وطارت به أجنحة

الخيال فاذا بها زوجته يعود اليها كل يوم من دنيا المتاعب والمشكلات

وعلى أبوابها تنتهى الدنيا الصغيرة وتبدأ الدنيا الكبيرة، على أعتابها

تموت الام الحياة لتولد الجنة وتفويض بحار السعادة حين تضمهما جدران أربعة. ها هو يتمثلها فى كل ليلة صورة من صور النفوس الرقيقة الشفافة ثمينة المعدن، فهو يراها فى ليلة شاعرة تتذوق وتهضم وتبدع وتنتقى له من بساتين الشعر والشعراء أطيب أزهارها وأشهى ثمارها، ويجنح الى سفينتها التى تتهادى به فى بحور الشعر، وتأخذ بيده ترتقى به فى قصائدها متنزها بين القوافى والأوزان ويجوز معها الأبيات بيتا وراء بيت مبهور الأنفاس مأخوذ اللب.

وفى ليلة أخرى يراها صورة أخرى من صور النفوس الراقية، يراها فنانة تمسك بأنامل من نور فرشاتها تغمسها فى الألوان ثم تحركها على لوحاتها وتسحبه من يده لتدخل به الى عالمها عالم الألوانو عالم الضوء والظل، عالم اللمسات الخفيف الساحرة المبهرة، تلك الفتاة التى يتمثلها حزمة رقيقة من الأعصاب المرهفة تصمم وترسم بعينى قلبها وعقلها ما تنفذه أناملها الساحرة، تنفصل عن دنيا البشر لتسافر فى دنياها الخاصة ثم تعود بعد رحلة فى عالم الجمال محملة بأحاسيس وقيم رفيعة وطباع

رقيقة، تستشعر عن بعد مواطن الجمال والقبح فى الأشياء، لا تطيق صبرا على رؤية الفوضى والقبح، لا ترضى بشيء أقل من الكمال أو ما يقاربه اذا لم يكن لشيء فى الدنيا كمال.

وفى ليلة أخرى يراها وقد أمسكت بالنها الموسيقية تعزف وهو الى جوارها يستمع ويستمتع، وتتحرك الأوتار وتنبعث النغمات فى موجات أثيرية متتابعة يذويان أمامها هو وهى.. أمام أمواج النغم يذويان لكنهما لا يتلاشيان بل يتحولان الى طائرين صغيرين تحملهما الأنغام وتحلق بهما فى سماء واسعة وفضاء فسيح، يحلقان على هدى تلك الأنغام وكلما ازدادا تحليق ازداد الفضاء أمامهما اتساعا وجمالا لا يحده سقف، وقد اكتست الأرض تحتهما ببساط أخضر زانته شتى صنوف الورود والأزاهير وتوقف فجأة ليسأل نفسه " ولكن هل مخلوق أن ينال الكمال؟ وهو لبشر أن يرث الجنة وهو يحيا على الأرض؟ وهل ما نتصوره السعادة والجنة سيكون جميلا فى دنيا الواقع- لو استطعنا الوصول اليه- كما هو جميل فى خيالنا؟ وأخيرا، لو تجسدت له كل تلك المعانى فى صورة انسان

خمسة مراكب بلا شاطئ» ♦—————♦ مجموعة قصصية

أحبه هل سيمضى اليه دون تردد؟" انه يشك فى ذلك بقوة لأنه يعرف نفسه جيدا، ان التردد لازمة من أقوى لوازمه، وسعاده لو كانت على مرمى حجر من قدمه، بل لو كانت على بعد خطوة منه ما قطع اليها تلك الخطوة دون تهيب أو تردد.

بدأت أشعة الشمس تأخذ طريقها صعدا الى كبد السماء، وتبخرت بفعل أشعتها قطرات الندى وتبخرت معها أحلامه الجميلة، وبأت صفوف البشر تتدافع فى الطرقات، وعادت معهم ضجة الحياة التى تطحن فى رجاها المادية كل الأحلام.